سلسلة الثقافة الإسلامية

(١١٦)

نضوب القلوب وجفافها

محمّد مهدي الآصفي

اسم الكتاب: .... نضوب القلوب وجفافها
المؤلف: .... محمّد مهدي الآصفي
الطبعة الأولى: .... ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م
الكمية .... ٥٠٠٠ نسخة
المطبعة:...... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

البقرة/٧٤.

من أعظم مصائب الانسان نضوب القلوب، وهو حاله الجذب والجفاف في القلوب والنفوس، يفقد فيها الانسان حالة الاقبال على الله، ورقة القلب، وهي الحالة التي يذكرها القرآن في سورة البقرة ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾.

وقد خلق الله تعالى قلب الانسان وصدره لتكون واحه خضراء وحديقة غنّاء، فاذا تحولت الى ارض صخرية قاحلة... فقدت كل خصائصها.

ولأهمية هذا الموضوع وإبتلاء كثير من الناس بدرجة من الدرجات بجفاف النفوس والقلوب وجدب الصدور والأفئدة ونضوب الروح... سوف نتناول أن شاء الله هذا الموضوع، بإيجاز ضمن النقاط الخمسة الآتية، بصورة منهجية.

١- أقسام القلوب في القرآن.

٢- تعريف النضوب والجدب في القروب والنفوس.

٣- آثار النضوب على حياة الانسان.

٤- أسباب النضوب.

٥- علاج النضوب.

وفيما يلي نتسلسل أن شاء الله في دراسة هذا الموضوع ضمن النقاط الخمسة المتقدمة.

١ـ القلب واقسامه في القرآن:

ما هو القلب؟

لا ينفعنا كثيراً الدخول في تفاصيل معنى القلب.

والفرق بينه وبين الروح والنفس والصدر والفؤاد، ويكفينا المعنى الاجمالي للقلب...[١]

والذي يتأمل في كلمات العرافاء يجد أنهم يَعُدَّوَن هذه الكلمات الثلاثة شيئاً واحداً او متقارباً... ونذكر من هؤلاء الفيض الكاشاني في المحجة البيضاء، والغزالي في أحياء العلوم.

ومعنى القلب -الجانحه- على نحو الاجمال واضح في كلماتهم.

ونذكر مثالاً على ذلك، يذكره الفيض الكاشاني في المجلد الخامس من المحجة البيضاء ص٣-٤ في تعريف القلب:

---

(١) لهذه الكلمات (القلوب. النفوس. الارواح. الصدور. الافئدة) معاني متميزة لسنا الأن بصدد التمييز بينها وانما نعني بها الحالة المشتركة بين هذه المفاهيم.

إنّ شرف الإنسان وفضيلته التي بها فاق جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا كماله وفخره، وفي الآخرة عُدّته وذخره، وإنّما استعد للمعرفة بقلبه، لا بجارحة من جوارحه.

فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله، وهو الساعي الى الله، وهو المتقرب إليه، وهو المكاشف بما عند الله ولديه.

وإنما الجوارح أتباع له وخدم وآلات، يستخدمها القلب، ويستعملها استعمال المالك للعبيد، واستخدام الراعي للرعية، والصانع للآلة.

والقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله، وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله، وهو المطالب والمخاطب، وهو المثاب والمعاقب، وهو الذي يستعد بالقرب من الله تعالى، فيفلح إذا زكّاه، وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنّسه ودسّاه، وهو المطيع لله بالحقيقة وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره، وهو العاصي المتمرد على الله، وإنما الساري على الأعضاء من الفواحش آثاره، وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه، إذ كل إناء يترشح بما فيه.

وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه، وهو الذي إذا جهله الإنسان فقد جهل

نفسه، وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه.

ومن جهل بقلبه فهو بغيره أجهل، وأكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم، وقد حيل بينهم وبين أنفسهم «فإن الله يحول بين المرء وقلبه» وحيلولته بأن لا يوفقه لمشاهدته، ومراقبته، ومعرفة صفاته، وكيفية تقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن، وإنه كيف يهوى مرة الى أسفل سافلين وينخفض الى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى الى أعلى عليين، ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين، ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد ما يلوح فيه من خزائن الملكوت عليه وفيه، فهو ممنّ قال الله تعالى فيه: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾الحشر/١٩. (١).

أقسام القلوب:

القلوب في القرآن ثلاثة:

١- القلب السليم:

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾الشعراء/٨٨-٨٩.

٢- القلوب المريضة:

---

(١) المحجة البيضاء: ٣/٥-٤.

يقول تعالى: ﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾الأحزاب/٣٢.

٣- القلوب القاسية (الميته):

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾البقرة/٧٤.

وها نحن نشرح بايجاز إن شاء الله هذه القلوب الثلاثة بما يناسب حجم الرسالة:

١ـ القلوب السليمة:

هي القلوب التي تتعاطى مع الله، تأخذ من الله، وترفع الى الله، تأخذ من الله الرزق النازل والرحمة النازله من عند الله وترفع الى الله، الى العبادة والخشوع والتوحيد والطاعة والإخلاص والرحمة.

ليس لغير الله فيها حظ، إلا ان يكون في امتداد الله، وبأمر الله، تطيع الله وحده، وتحمد الله وحده، وتخشع له وحده، وتخاف من الله وحده، وترجو الله وحده، وتسأل الله وحده، وتعبد الله وحده، وتتقي الله وحده.

ولا تتقدم على الله ورسوله بحكم أو رأي أو حب أو بغض أو موقف، وإنّما تطيع الله تعالى ورسوله في كل ذلك.

لا تقدم على الله تعالى، في حبّ، ولا طاعة، ولا عبادة، ولا خوف، ولا رجاء، إلا اذا كان بأمر الله وأذنه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾الحجرات/١.

تقبل على الله، وتنتعش بذكر الله، وتنفتح على الله، وتجد في ذكر الله وعبادته لذة لا تفوقها لذة.

هذا هو (القلب السليم) وهو أفضل ما يرفعه العبد الى الله، وما يصحبه معه الى الله.

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾الشعراء/٨٨-٨٩.

ويحدّد أمير المؤمنين عليه السلام سلامة القلوب بثلاث كلمات كما في الرواية.

عن أمير المؤمنين عليه السلام (إنّ الله تعالى في عباده آنيه وهي القلب، فأحبها اليه وأصفاها واصلبها وأرقها)(١).

وهذه ثلاث إمارات لسلامة القلوب.

١- الرقة والبكاء والخشوع والتضرع بين يدي الله والرحمة والرأفة بعباده.

٢- الصفاء والنقاء في الفهم والوعي واليقين بالله تعالى ودينه ودعوته والنقاء من الذنوب.

٣- الصلابة في مقاومة الفتن والأهواء، وهي الصلابة في الدين.

---

(١) فقه الرضا لعلي بن بابويه ص٢٨١ نشر مؤسسة آل البيت قم ط الاولى.

واذا صفا القلب، ورق، وكـان مقاومـاً وصـلباً تجـاه الفـتن والاهواء، كان القلب خزانّة العلم يتفجر بالحكمة والمعرفة.

عن عيسى بن مريم عليهما السلام: يا بنـي أسـرائيل، لا تقولـوا العلـم في السماء، من يصعد يـأتي بـه؟ ولا فـي تخـوم الأرض مـن ينزل يأتى به؟ ولا من وراء البحار من يعبر يأتى به؟

العلـم مجبـول فـي قلـوبكم، تـأدبوا بـين يـدي الله بـآداب الروحـانين، وتخلقـوا بـأخلاق الصـديقين، يظهـر العلـم فـي قلوبكم، حتى يغطيكم ويغمركم[1].

والمقصود بالعلم فـي هـذه الحكمـة المعرفـة، إنّ القلـوب السليمة عامرة بالمعرفة، تنبع منها، كما ينبع المـاء الـزلال مـن الأرض. إنَّ القلوب (السليمة) منفتحه علـى الله تعـالى، تتلقـىّ من عند الله النور والحكمة والمعرفة، كما تفيض للناس بالنور والمعرفة والحكمة، تبصر وتسمع بـالنور، وهـذه هـي مرحلـة التلقّي من عند الله وتنطق بالنور والمعرفة والحكمة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام، كما في رواية الشـريف الرضـي في نهج البلاغة..

إن الله سبحانه جعل الذكر جـلاءً للقلـوب، تسـمع بـه بعـد

(١) التفسير المحيط للسيد حيدر الآملي: ٢٧٣/١.

الوقرة، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة، وما برح لله -عزتّ آلاؤه- في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات، عباد ناجاهم في فكرهم، وكلّمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في الأبصار والأسماع والأفئدة، يُذَكَّرون بأيام الله، ويخوّفون مقامه، بمنزلة الأدلة في الفلوات، من أخذ القصد حمدوا اليه طريقه وبشروه بالنجاة، ومن أخذ يمينا وشمالا ذموا اليه الطريق، وحذّروه من الهلكة(١).

إنَّ القلوب الذاكرة لله تسمع بعد الوقرة والصمم، وتُبْصر بعد العشوة والعمى، وتنقاد لله بعد العناد والشقاق.

فاذا اقبل العبد على الله، وارتوى قلبه بذكر الله فتح الله مغاليق قلبه وعقله وفكره على نوره وهداه وبصائر كتابه ودينه.

وكما تتبصر القلوب وتتفتح على الله بالذكر، كذلك تتبصر وتتفتح وتنتعش وتصلح وتستنير بالتقوى.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام كما في رواية الشريف الرضي:

أوصيكم يتقوى الله الذي منه ابتداء خلقكم، واليه يكون معادكم، وبه نجاح طلبتكم، واليه منتهى رغبتكم، ونحوه

(١) نهج البلاغة صبحي صالح الخطبة: ٢٢٢.

قصد سبيلكم، وإليه مرامي مفزعكم، فإن تقوى الله دواء قلوبكم، وبصر عمى أفئدتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشى أبصاركم، وأمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم[١].

ولو استطاع الإنسان ان يسلم من عبث الشياطين بقلبه ومن سلطان الفتن والاهواء على قلبه لفتح الله تعالى قلبه على ملكوت السماوات.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

(لولا أنَّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماوات)[٢].

يقول الشهيد في رسائله المطبوعة في التعقيب على هذه الرواية: لنظروا الى ملكوت السماوات ومعاني القرآن من جملة الملكوت. والحجب الموانع منها[٣].

ان الله تعالى خلق القلوب لتكون نوافذ ينظر من خلالها اصحابها الى ملكوت السماوات والى جلال الله وجماله.

ولكن الذنوب والسيئات والتعلق بالدنيا، وتردد الشياطين على

---

(١) نهج البلاغة: صبحي صالح: الخطبة ١٩٨.

(٢) بحار الانوار: ١٦٣/٥٦ و ٢٢٢/٦٠ و٥٩/٦٧-١٦١ و ٥٩/٧٠ والوافي: ١٥٠/٤ والاحياء:٢٢٢/١-٢٨٤ و٩/٢، ومسند احمد بن حنبل: ٣٥٢/٢.

(٣) رسائل الشهيد الثاني: ١٣٨.

قلـوب النـاس تفسـد علـيهم قلـوبهم وتغلـق علـيهم نوافـذ البصيرة...

والـذين يشـعرون بخطـر تـردد الشـياطين علـى قلـوبهم، ويحرسون قلوبهم من الشياطين، ويمنعونهم عن التردد على قلوبهم، ويحفظون قلوبهم من التلوث بالـذنوب والمعاصـي... أولئك يبقون هذه النوافذ مفتوحـه فـي قلـوبهم، ينظـرون مـن خلالها الى ما يسعهم من الجلال والجمـال الالهـي وملكـوت السماوات، ويجدون في ذلك لذة لا تعادلها لذة.

٢ـ القلوب المريضة:

القلوب المريضة هي التي تفقد السلامة والعافية التي ذكرناها للطائفة الاولى من القلوب، وهـذه الكلمـة مـن المصـطلحات القرآنية وردت في أكثر من موضع في القرآن:

يقول تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً ﴾الأحزاب/٦٠.

وهـذه القلـوب تضـعف عـن الانفتـاح والاقبـال علـى الله، واستقبال الهدى والنور من عند الله، فيكون في إقباله وانفتاحه على الله ضعف وفتـور، وفـي صـلاته ودعائـه وذكـره تثاقـل، وفيما ترفع الى الله شرك، ولو كـان خفيـاً، فترجـو الله وترجـو

غيره، وتخاف الله وتخاف غيره، وتطيع الله وتطيع غيره... دون ان يكون هذا الرجاء والخوف والطاعة لغير الله في امتداد الله، وباذنه وامره.

وهذا هو معنى الشرك، ولو كانت الطاعة والسؤال والرجاء باذن الله وأمره لم يكن من الشرك في شيء والشرك الخفي، غير المحسوس، يدخل نفوس كثير من المؤمنين: يقول تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾يوسف/١٠٦.

ولهذه القلوب ذنوب هي ليست من ذنوب الجوارح (كاللسان والعين والايدي والارجل)

وانما هي من الذنوب الجوانح.

وللجوانح ذنوب، كما أنّ للجوارح ذنوب.

ولا نعرف كتابا قبل القرآن فتح على الناس هذا الافق الجديد من المعرفة قبل القرآن، وبصورة منهجية علمية، ولا نعرف شريعة في الحياة الدنيا حظرتها ومنعتها وتعاقب عليها قبل مصادر الوحي الالهي.

يقول تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾الانعام/١٢٠.

وباطن الاثم هو الاثم الذي تقترفه الجوارح من الطمع والجشع والحرص والشرك والشك والحسد والبغض والحب والعجب.

ويقول تعالى: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ

قُلُوبُكُمْ﴾البقرة/٢٢٥.

ويقول تعالى: ﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾البقرة/٢٨٣.

ولسنا الان بصدد الدخول المنهجي العلمي في هذا الافق من المعرفة التي لا نجدها في غير مصادر الوحي الالهي.

٣ـ القلوب الميته (القاسية).

وهي الطائفة الثالثة من القلوب. تتحجر في الاخذ والعطاء عن الله تعالى، وتنقبض على الله، ولا تجد اقبالا على الله، ولا تخشع لله (فهي كالحجارة او اشد قسوة)، ولا تجد لذة في ذكر الله.

أولئك يعاقبهم الله تعالى فيحجبهم عنه بحجاب غليظ، ويذهب بنورهم، ويتركهم في ظلمات بعضاً فوق بعض ﴿ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾البقرة/١٧.

يقول تعالى عن اصحاب هذه القلوب، والخطاب لبني اسرائيل، بعد ان قست قلوبهم:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾البقرة/٧٤.

٢ـ تعريف نضوب القلب:

القلب الجانحة يتميز في حالة السلامة بالأخذ والعطاء، كما القلب الجارحة (العضوي)

يأخذ من عند الله النور والبصيرة والهدى والتسديد والتأييد والرحمة ومعرفة الله وجلاله وجماله ونعماءه.

وهو الرزق النازل من عند الله على قلوب العباد في الخط النازل من عند الله.

وعطاء القلوب في الخط الصاعد: الطاعة والعبادة، والذكر، والشكر، والدعاء، والمناجاة، والاستغفار، والتسبيح، والحمد، والصلاة، والسجود، والتقوى، والاحسان الى الاخرين، والانفاق، والتعاون على البر والتقوى، والرفق بالاخرين، والايثار، والخدمة، والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد ومجاهدة النفس...

وهو عطاء القلوب السليمة.

وكلما يزداد خَطّ القلوب من هذا الرزق النازل والعطاء الصاعد يكون خطّ القلب أكثر من السلامة.

ومهما يَقلُّ خطّ القلوب من هذا الرزق النازل والعطاء الصاعد يكون خطها أقل من السلامة.

وبكلمة موجزة إنَّ تعاطى القلوب لهذا الرزق النازل والعطاء الصاعد إمارة سلامة القلوب.

وبـالعكس اذا دبّ المـرض فـي القلـوب يتعطّـل دورهـا فـي الاخذ والعطاء، بقدر ما يتمكن المرض من القلب.

وتتـراوح دور القلـوب فـي هـذا التعـاطي بمقـدار حظهـا مـن السـلامة، كمـا يتـراوح دور القلـب فـي التعطيـل بمقـدار مـا يتمكن منها المرض.

وإمارة المـرض والسـلامة فـي القلـوب القسـوة والرقـة وهـي إمارة دقيقة لاتخطي.

وبقدر ما يقسو قلب الانسان يفقد حالة التعـاطي التـي تحـدثنا عنهـا، حتـى يتعطـل القلـب تمامـا عـن التعـاطي بـين الاخـذ والعطاء، وذلك أقصى مراحل القسوة. حيث يفقد القلب فيهـا كل قابليته على الاخذ والعطاء.

فيكون مثل القلب في هذه الحالة مثل الحجارة، التي لاتأخـذ ولا تعطي.

أن المطر ينزل على الارض الهشـة الخصـبة فتمتصّـه الارض، وينفذ فيها نور الشمس، وينفـذ فيهـا الهـواء، فتسـتقبل التربـة الهشـه الخصـبه كـل ذلـك، ويتحـول هـذا الـرزق النـازل فـي الارض الهشه الخصبه الى فواكه وثمار واعشاب ﴿مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾النازعات/٣٣. والى ازهار وروائح ونكهات عبقه واشجار باسقه.

وينزل المطر والنور والهواء على الحجارة الصـلده فـلا تأخـذ

منها شيئاً ولا تعطي.
كذلك القلوب القاسية.
بل قد تلين الحجارة، فتتشقق بتدفق الماء من خلالها وتستجيب لأمر الله (في التكوين)، فتهبط وتسقط، فتأخذ الحجارة وتعطي، وتستقبل المؤثرات الخارجية وتتفاعل معها، ولكن القلوب القاسية والميته، لا تستجيب اطلاقاً لدعوة الله تعالى وهدايته...
حالة من الانغلاق الكامل تجاه نداء الله ودعوته وإعراض كامل عن الله.
يقول تعالى: والخطاب لبني اسرائيل بعد ان اعرضوا عن الله، وقابلوا نعم الله بالإعراض والكفران. ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾البقرة/٧٤.
ويُنزل الله البأساء والبلاء على العباد ليتضرعوا الى الله تعالى، وتتفتح قلوبهم على الله، ولكن القلوب القاسية لا تستجيب لهذا الانذار الآلهي، ولا تلين، ولا تتضرع.
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ

قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾الأنعام٤٢-٤٣.
هذه الحالة هي أخطر أمراض النفس. عن الإمام الباقرعليه السلام:
«ما ضُربَ عبد بعقوبة اعظم من قسوة القلب»(١)
وبخلاَف ذلك، حالة (الرقه) إمارة سلامة القلب، وكلما يكون القلب أرقّ يكون إكثر سلامة وعافية.
وعندما ترقّ القلوب تتفتحّ على رحمة الله تعالى ورزقه ونوره، وتأخذ من هدى الله ونوره ورحمته، بقدر ما يتسع له وعاء القلب، فأذا ارفع صاحبه يده الى الله للدعاء استجاب الله لدعائه، وإذا تلى آيات القرآن اقشعر جلده ولان قلبه الى ذكر الله.
يقول تعالى في صفة الذين يخشون ربهم
﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾الزمر/٢٣.
هكذا: تقتشعر جلودهم رهبة من عظمة الله وجلاله وجبروته، ثم تلين جلودهم وقلوبهم أنسا بذكر الله وسكوناً واطمئنانا

(١) تحف العقول: ٢٩٦.

الى ذكر الله... بين الرهبة والخشوع والأنس وسكون النفس.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «اغتنموا الدعاء عند الرقه فإنها رحمته»(١).

«اذا ارق احدكم فليدع، فإن القلب لا يرق حتى يخلص»(٢).

والحديث دقيق ويتضمن معارف جمّه

إنَّ رقة القلوب إمارة الاخلاص لله تعالى والخلاص من التعلقات التي تحجب الانسان عن الله، ولا يرقّ قلب حتى يُخلِصُ لله، ولا يُخلص قلب لله حتى يُخْلَصُ من التعلّقات التي تحجب صاحبها عن الله، فإذا خلص القلب من هذه التعلقات لم يحجبها عندئذ شيء عن الله، ولم يبق بينها وبين الله حجاب فيستجيب الله لدعائه.

وعن ابي عبد الله الصادق عليه السلام ايضاً: إذا أقشعر جلدك ودمعت عيناك ووجل قلبك (وهي كلها من رقة القلب) فدونك دونك فقد قصد قصدك(٣).

---

(١) ميزان الحكمة: ٢٠/٢ عن الدعوات للراوندي: ٦٠/٣٠.

(٢) الكافي: ٤٧٧/٢.

(٣) بحار الانوار: ٢٤٤/٩٣ ح٥.

٣ـ آثار النضوب:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ في الانسان مضغة، اذا هي سلمت وصحت، سلم بها سائر الجسد فاذا سَقُمَتْ سقم لها سائر الجسد وفسد، وهي القلب(١).

إذن فساد القلب يفسد الانسان رأساً، وما من خطر أعظم على الانسان، ويهددّ سلامة الانسان مثل فساد القلوب.

الإنغلاق

قلنا إنَّ قيمة القلب في التعاطي بين الرزق النازل من عند الله على القلوب، والعطاء الصاعد من العبد الى الله من العمل الصالح والعبادة والعبودية والطاعة والاحسان والانفاق والتعاون على البر والتقوى والنصيحة وحياة القلوب في هذا الاخذ والعطاء.

وعلى قدر ما يفتح الانسان قلبه على الله يأخذ ويعطي.

فإن كان شحيحاً ضعيفاً في الانفتاح على الله، كان شحيحاً في العطاء لا محالة...

أولئك اصحاب القلوب المريضة.

وإن كان إنغلاقاً كاملا على الله وإعراضاً كاملاً عن الله كان

(١) روضة الواعظين للفتال الينساوري: ٤٨٧ ومشكاة الانوار: ٢٩٥.

القلب من القلوب القاسية التي يصفها الله تعالى بأنَّها (كالحجارة أو أشد قسوة)

فيعاقبهم الله تعالى، فيسلب عن قلوبهم السمع والبصر، فلا يبصرون آيات الله، ولا يسمعون دعوة الله، والذي لا يسمع ولا يبصر بآيات الله والائه، لا ينطق بالضرورة، فإن الانسان إنما ينطق بما يسمع ويرى، فإذا فقد السمع والبصر يفقد النطق والخطاب فيما حرم السمع والبصر منه بالضرورة.

يقول تعالى في وصف هؤلاء القاسية قلوبهم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾البقرة/١٨.

﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ ﴾البقرة/٧.

عندئذ تنضب القلوب نضوباً كاملاً، ويصيبها جدب وجفاف كامل.

فلا ينفقون في سبيل الله درهماً، ولا يجدون في نفوسهم اقبالا على الله، ولا يعرفون في انفسهم شوقاً الى ذكر الله، ولا يستشعرون في قلوبهم خوفاً من الله ورجاءً الى الله، ولا يقبلون على الصلاة والمناجاة والدعاء والحمد والتسبيح والاستغفار الا بتثاقل وفتور، ولا ترتفع ايديهم الى الله، ولا تخر جباههم بالسجود بين يدي الله، ولا تجود عيونهم بالدمع من خشية الله، ويفقدون الشفافية في قلوبهم، فلا يجدون لذة

لذكر الله والصلاة والتسبيح والحمد.

﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾النساء/١٤٢.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله «اوحى الله الى داود عليه السلام: إنّ ادنى ما أنا صانع بهم (العلماء غير العاملين بعلمهم) أن انزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم»(١).

يجفّ في قلوبهم نبع حب الله، والحب في الله، والبغض في الله، والرضا بما يرضى الله، والسخط عما يُسخط الله سبحانه.

ولا يقتصر امر النضوب في القلوب على علاقة الانسان بالله معرفة، وحُبّاً، وشوقاً، ودعاء، وطاعة، وخوفاً، ورجاء، واخباتاً وركونا، وتوبة، وامتثالاً، وتؤخلا، وثقة، وتضرعاً وخشوعاً... بل يتجاوز علاقة العبد بالله الى علاقة الانسان العاطفية والانسانية بالاخرين، فتجف عيون الرحمة والعاطفة في قلبه تجاه الآخرين، فلا يعرفون في نفوسهم وفاء تجاه الآخرين، ولا يعرفون للصدق والامانه، والوفاء قيمة اخلاقية في نفوسهم، ولا تعرف نفوسهم نزوعاً الى الاحسان والخير.

وقد وجدنا من هؤلاء في حياتنا من يقتل الابرياء الذين لا

---

(١) ميزان الحكمة: ٤٢٢/٢.

يعرفهم لقاء دراهم معدودة من المال وثمن بخس من حطام الدنيا، لا قيمة له حتى على مقاييس أهل الدنيا.
كان قلوبهم صحراء قفر قاحلة لا تجد فيها ماءً ولا زرعاً غير الاشواك والرمال المتحركه وسموم الرياح. جدب ونضوب كامل... نعوذ بالله.
كذلك تتحول القلوب التي خلقها الله تعالى لتكون حدائق غَنّاء ذات بهجة ونزهه الى صحاري قفراء قاحلة.
وهذه الحالة تعبر عن أقصى درجات بؤس الانسان وشقائه وحرمانه.
ينسيه الله نفسه، فلا يعرف نفسه، وما أودع الله تعالى فيها من مواهب وكرائم الاخلاق والقيم والذكر والطاعة والعبودية... فلا يعرف في نفسه غير الحرص على متاع الدنيا وزهوها الباطل، والاقبال عليهما، والحسد، والطمع، والجشع، والشرة، والحرض، والكراهية، والبغضاء، وسوء الظن بالآخرين، واليأسعن رحمة الله.
تماماً كما لا تجد في الصحاري القاحلة غير الاشواك وركام الرمال المتحركه والسموم.

الحجاب والغشاوة:
ومن أخطر ما يصيب القلوب القاسية الحجاب عن الله... وهذا

الحجاب عقوبة من جانب الله للذين يحتجبون ويعرضون عن الله، فيعاقبهم الله فيحجبهم عنه تعالى ويسلبهم السمع والبصر في قلوبهم.

يقول تعالى: ﴿ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾البقرة/١٧.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾النور/٤٠.

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾الأعراف/١٧٩.

إنّها آية عجيبة تستوقف الانسان.

إن هؤلاء الذين ضرب الله على قلوبهم، لهم قلوب ولكن لا يفقهون بها (لهم قلوب لا يفقهون بها) وإن اعظم خاصية القلوب الفقه والوعي والفهم.

وإذا فقد الانسان الوعي والفقه في قلبه يفقد البصيرة في عينيه، فيرى آيات الله تعالى بعينيه بقدر ما يتعلق بالرؤية الحسيه، ولكن لا يبصر فيها آيات الله، كما ترى البهائم والدواب المشاهد المحسوسة المرئية من آيات الله في هذا

الكون، ولكن لا تبصر بها الدلالات التي تختزنها هذه الآيات على جلال الله تعالى وجماله وحكمته ورحمته (ولهم اعين لا يبصرون بها).

ويسمعون نداء الانبياءعليهم السلام والدعاء الى الله ولكن لا يفقهون هذا الدعاء، كما تسمعها الدواب باذانهم، ولكن لا يفقهونها.

ثم يحكم الله تعالى، بانهم ﴿كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾الأعراف/١٧٩.

إن هؤلاء لم يفقدوا ابصارهم، فهم كسائر الناس يبصرون الاشياء المحسوسه، وكما تبصر البهائم، ولكنهم يفقدون البصائر التي تدرك وتتلقى آيات الله في قلوبهم، فالعمى في القلوب التي في الصدور وليس في الأبصار التي في الرؤوس ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾الحج/٤٦.

هؤلاء يعاقبهم الله على إعراضهم عن الله وتغافلهم عن آيات الله وتصاممهم عن دعوة الله، فيذهب بنورهم الذي رزقهم ويتركهم في الظلمات... والعقاب هنا عقاب تكويني من سنخ الجريمة:

أن عقوبة التصامم عن آيات الله الصمم، وعقوبة التعامي عن آيات الله العمى (عمى القلوب) وعقوبة السكوت عن آيات الله (البكم).

﴿ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾البقرة١٧-١٨.

والانسان اخذ وعطاء... يأخذ ببصره وسمعه، ويعطي بلسانه ويده، فإذا فقد الانفتاح بسمعه وبصره، فهو بالضرورة يفقد العطاء، ويضرب الله تعالى لنا مثلاً بحال هؤلاء.

أن الدعاة الى الله يدعون الذين كفروا الى الله ولكن الذين كفروا من أهل العناد والشقاق لا يسمعون من هذه الدعوة الإجرس الكلمات كما لا تسمع البهائم من نعيق الرعاة بهم الإجرس الكلمات وذلك انهم صم بكم عمى.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾البقرة/١٧١.

كمثل الراعن الذي ينعق بالدواب والبهائم بما لا تسمع الاجرس الكلمات من الدعاء والنداء ذلك انهم صم بكم عمى.

امارات الجدب والنضوب في القلوب:

وقد ورد في النصوص الاسلامية إمارات واضحه للجدب والنضوب في القلوب.

روى الصدوق في الخصال عن جعفر بن محمدعليه السلام عن أبائه عن رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: من الشقاء جمود العين وقسوة

القلب، وشدة الحرص في طلب الدنيا(١).

ومن وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

يا علي اربع خصال من الشقاء: جمود العين، وقساوة القلب، وبعد الأمل، وحب البقاء(٢).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

لُمتَان: لمة من الشيطان ولُمة من الملك، فَلُمَّة الملك الرقّة والفهم. ولُمة الشيطان السهو والعشوة(٣).

وفي هذه الرواية امارة الجدب والنضوب.

قسوة القلب والبلاده (عدم الوعي)

وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

الشقاء جمود العين، وقسوة القلب، وشدة الحرص في طلب الدنيا، والاصرار على الذنب(٤).

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) ٤٥/١٦.

(٢) وسائل الشيعة: ٤٥/١٦ (ط آل البيت).

(٣) وسائل الشيعة: ٤٥/١٦ (ط آل البيت)

(٤) وسائل الشيعة: ٤٥/١٦ (ط آل البيت)

٤ـ اسباب النضوب في القلوب:

للنضوب في القلوب اسباب يذكرها علماء الاخلاق. نحن نقتصر هنا على تعدادها بشرح يسير، ومن أراد الشرح فله أن يرجع الى كتب الاخلاق الموسعة لدراسة هذا الموضوع الهام بتفصيل وشرح أكثر.

وأليك طائفة من أسباب النضوب في القلوب:

١ـ الشك في اللّه:

وهذا هو السبب الأول لحالات امراض القلب، فان الشك يزلزل القلب عن مستقره في الايمان والعقيدة، ويعصف به، ويعتّم عليه الرؤية الصافية والواضحة، ويسلبه اليقين، وعند ذلك يتحول الإنسان من عنصر هادف يملك رأياً، وموقفا محددا، وخطا فكريا وسياسيا، وإتجاها واضحا الى خشبة طافية في مجرى التيار يلعب به التيار، ويسلب منه الموقف والرأي والوضوح والخط.

ويفرز هذا الشك جملة من امراض القلب، وليس من الضروري أن يكون هذا الشك دائما في ذات الله، فقد يكون الشك في صفات الله واسماء الله الحسنى، وهو يساوق الشك في ذات الله.

فالحسد وهو من اهم الأمراض النفسية، وأشدها، نابع من

الشك في صفة «الرزق» وصفة «الحكمة» و«العدالة» من صفات الله الحسنى.

فان الإنسان اذا آمن بان الله هو الرزاق ذو القوة المتين، لا بخل في ساحته، ولا ينقص الجود والكرم لعباده شيئاً من خزائن رحمته، وانما يوسع على من يشاء من عباده بالرزق ويقدر على من يشاء لما يراه من حكمة ومصلحة تخفى علينا... اقول:

... اذا آمن الإنسان بهذه الحقائق فلا يحسد الناس على ما آتاهم الله من الرزق والرحمة، فله ان يسأل الله أن يرزقه ما رزق غيره، فلو كانت المصلحة والحكمة تقتضي ذلك، فليس في ساحة الله تعالى بخل ولا ظلم، تعالى عن ذلك علواً كبيراً. وانما يحسد الناس بعضهم بعضا لشك يخالج نفوسهم في عدالة الله تعالى، او في رزقه لعباده او عدله وحكمته، والشك في كل واحد من هذه الصافات شك في ذات الله تعالى بالمال.

وكذلك الطمع والجشع والتهالك على الدنيا في تحصيل حطام هذه الدنيا نابع من الشك في واحد من هذه النقاط بالضرورة. ولو ان الناس آمنوا بالله وبصفاته الحسنى ايمانا كاملا، لم يحسد بعضهم بعضا، وأجملوا في السعي في طلب الرزق ولم يحترقوا بنار الطمع والجشع والحسد.

وقد ورد في الأدعية كثيرا، الاشارة الى هذه النقطة (واجعلني بقسمك راضيا)، وفي زيارة (أمين الله) (اللهم اجعل نفسي مطمئنة بقدرك، راضية بقضائك) فان الإنسان اذا آمن بحكمة الله تعالى وعدله ورزقه برئ من الحسد والطمع، وأجمل في السعي في طلب الرزق.

٢ـ سلطان الهوى والشهوات على النفس:

والسبب الآخر لامراض القلب سلطان الهوى والشهوات على النفس، فيتوزع القلب بين الاستجابة لله تعالى، وسلطان الهوى والشهوات. يطيع الله تارة، ويعصي لله تعالى في الاستجابة والانقياد لاهوائه تارة اخرى. ويعطي حبه لله تعالى حينا، ولغير الله من مغريات الدنيا حينا آخر. ويجعل لله تعالى شريكا في قلبه في الطاعة والاستجابة والحب، وهذا نوع من (الشرك) ودرجة من درجاته.

ومن خلال هذه الاستجابة لسلطان الهوى يمتد الشيطان الى حياة الإنسان ويحتل قلبه، ويفرض سلطانه ونفوذه على قلبه، وعقله، ويسلبه البصيرة، والعزم، والتقوى، وتتمكن من نفسه الاهواء والشهوات.

وكل ذلك يكون سببا لان يتجاوز الإنسان حدود الله تعالى، ويرتكب الذنوب والمعاصي، ويكثر من الذنوب، ويتكرر

السقوط في حياة الإنسان، ثم تتحول هذه المعاصي والذنوب التي يرتكبها الناس في الاستجابة لأهوائهم وشهواتهم الى رين وصدأ على قلوبهم تحجبهم عن معرفة الله ورؤيته، وتحجب عنهم النور وتسلبهم البصيرة والوعي، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾المطففين/١٤.

فهذه طائفة واسعة من أمراض القلب تنشأ من سلطان الهوى والشهوات على قلوب الناس، وتستدرجهم بالنتيجة الى الشرك بنحو من الانحاء، وبدرجة من الدرجات، وتسلبهم الاخلاص والايمان بدرجات مختلفة.

الشرك في الطاعة:

يقول تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾يوسف/١٠٦.

ويقول تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾النساء/٦٥.

ومن الشرك: الشرك في الحب:

يقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي

الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾التوبة/٢٤.

والقرآن الكريم يعالج هذه الامراض التي تصيب قلوب الناس، وتفسد عليهم قلوبهم بطريقته الخاصة المتميزة، فيبرئ القلوب من امراض الشك، بتنبيه الفطرة وازالة الشكوك من النفس ويعيد الإنسان الى فطرته ووعيه.

وطريقة القرآن في هذا الجانب طريقة قوية ومؤثرة متميزة، يبرئ القلوب من الامراض الناشئة عن سلطان الهوى على النفوس بالتذكير، والوعظ، والترغيب والترهيب، والقصص، والعبر، والامثال. وهي طريقة مؤثرة وقوية، فأن القرآن شفاء للقلوب، يبرئ القلوب مما فيها من الامراض المستعصية، وليس من داء في النفس إلا وفي القرآن له دواء، لو إنّ الإنسان استجاب لدعوة القرآن، وقد حفلت النصوص الاسلامية بهذا المعنى.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ان هذا القرآن هو النور المبين، والحبل المتين والعروة الوثقى، والدرجة العليا، والشفاء الاشفى، من إستضاء به نوّره الله، ومن عقد به أموره عصمه الله، ومن تمسك به انقذه الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن

إستشفى به شفاء الله»[1].

٣ـ اقتراف الذنوب والسيئات:

من أسباب النضوب في القلوب إقتراف الذنوب والسيئات.
ويقول تعالى:
﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾المطففين /١٤-١٦.
إنَّ الذي يكسبه الناس من الذنوب ينقلب الى رين وصدأ على قلوبهم. وهذه هي المعادلة الاولى، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
والمعادلة الثانية ان هذا الدين ينقلب الى حجاب يحجبهم عن الله ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾
والمعادلة الثالثة: أن هذا الحجاب ينقلب الى نار الجحيم ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾.
عن امير المؤمنين عليه السلام: (ما جفت الدموع الا لقسوة القلوب. وما قست القلوب الا لكثرة الذنوب)[2]

---

(١) بحار الانوار: ٣١. في رحاب القرآن للمؤلف: ٥٨/١-٦١.
(٢) علل الشرائع: ٨١ح١

وعن الإمام الصادق عليه السلام: كان ابي يقول: ما من بشيء أفسد للقلب من خطيئة. ان القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به، حتى تغلب عليه، فتصير اعلاه اسفله[١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: ما من عبد إلا وفي قلبه نكته بيضاء، فاذا اذنب خرج في النكته نكته سوداء، فان تاب ذهب ذلك السواد، وان تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فاذا تغطى البياض لم يرجع صاحبه الى خير ابداً، وهو قول الله عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب[٣].

والاصرار على الذنب، والذنب على الذنب من عوامل قسوة القلوب، كما نصت بذلك الروايات عن رسول الله وأهل بيته عليهم السلام.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: اربع يمتن القلب: الذنب على الذنب[٤].

---

(١) الكافي: ٢٦٨/٢ ح ١.

(٢) الكافي: ٢٧٣/٢ ح ٢٠.

(٣) علل الشرائع للصدوق: ٨١/١.

(٤) الخصال للشيخ الصدوق: ٢٤٣ ح ٩٦ وص ٢٢٨ ح ٦٥.

٤ـ الإعراض عن ذكر الله

ومن عوامل النضوب والقسوة: الاعراض عن ذكر الله.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾طه/١٢٤-١٢٦.

الذي يعرض عن ذكر الله يجعل الله تعالى معيشته في الدنيا ضنكا (ضيقاً).

وهذا الضيق ليس في معيشته المادية بالتأكيد، فإن كثيرا من المشركين والمنافقين والفاسقين يعيشون في سعة في حياتهم المادية، ولربّما أوسع من بعض المؤمنين... وإنّما المقصود الضيق في قلوبهم وصدورهم، وسلب المواهب التي يهبها الله تعالى لعباده، من البصائر والوعي والفقه. وهو معنى قوله تعالى في صفة الكافرين: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾الكهف/١٠١.

هؤلاء يعاقبهم الله بالاعراض عن ذكره، فيجعل على أعينهم غطاء يحجبهم عن آيات الله والآئه. ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾البقرة/٧. ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾الجاثية/٢٣.

فاذا سلبهم الله السمع والبصر والوعي والفقه، ضاقت قلوبهم واصبح كل همهم الدنيا، فعاشوا في ضيق وضنك شديد

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾محمد/٢٣. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً﴾الكهف/٥٧.

والاكنه جمع كنان بمعنى الغطاء، والوقر: الثقل في السمع.

ونقرأ في دعاء الاسحار للإمام علي بن الحسين عليه السلام:

«اللهم أني كلما قلت قد تهيات وتعبأت، وقمت للصلاة بين يديك، وناجيتك، القيت عليَّ نعاساً إذا أنا صليت، وسلبتني مناجاتك إذا أنا ناجيت، مالي كلما قلت قد صلحت سريرتي، وقرب من مجالس التوابين مجلسي، وعرضت لي بلية ازالت قدمي، وحالت بيني وبين خدمتك سيد.

لعلك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحيتني او لعلك رايتني مستخفاً بحقك فاقصيتني، او لعلك رايتني معرضاً عنك فقليتني، او لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني، أو لعلك رايتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني، او لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلك رايتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلك رايتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني، أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني، أو لعلك بجرمي وجريرتي كافيتني، أو لعلك بقلة حيائي منك جازيتني».

يذكر الإمام عليه السلام أسباباً لهذه الحالة التي تعترى العبد في

علاقة الله به وعلاقته بالله، حيث وكل اله تعالى أمر عبده اليه وأقصاه عن رحمته، طرده عن بابه، وقلاه، وسحط عليه ورفضه...

وهذه الاسباب جديرة بالاهتمام في منهج التربية الاسلامية... يجب ان نتوقف عندها وندرسها حالة حالة، واذا كنا لا نجد فرصة لهذه الدراسة الأن، فلا أقل من أن نذكرها ونحصيها مرة آخرى، لنمر عليها بالتأمل والتدبر.

«لعلك رايتني مستخفا بحقك فاقصيتني، أو لعلك رأيتني معرضاً فقليتني، أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني، أو لعلك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني، أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني، أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني، أو لعلك بجرمي وجريرتي كافيتني، أو لعلك بقلة حيائي منك جازينتي»

٥ـ نقض عهد الله:

ومن اسباب قساوة القلوب ونضوبها: نقض عهد الله فإن بين العبد وبين الله تعالى عهد وثيق قد وثقه الله تعالى في فطرة كل انسان، مؤمنا كان ام منافقاً ام ملحدا، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ

أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾الأعراف/١٧٢.

وهذا عهد أخذه الله على عباده، في عمق فطرتهم عند سلامة الفطرة وفي دائرة النور، يشهد العبد فيه بالربوبية لله تعالى والعبودية لنفسه ويلتزم بلوازم العبودية لله تعالى من الطاعة له تعالى ولانبيائه... وكل ذلك يجري في فطرة كل انسان سوئ، في دائرة النور وليس في دهاليز النفس، وبشكل واضح... ولا يغيب هذا الأمر عن كل انسان، مهما كان، مؤمنا او منافقا او ملحدا، ولذلك يشهد به، ولا يسعه انكار هذا الاقرار والشهادة يومئذ ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾.

وليس بوسع أحد، رزقه الله ما رزق عباده من الفطرة السوية أن ينكر هذا الوضوح والاقرار والشهادة في فترة من فترات عمره، ايام سلامة الفطرة، وقبل ان تتلوث وتنطمر فطرته.

وقد شرحنا آية الميثاق من سورة الاعراف بتفصيل وتوسعه في كتاب مستقل.

هذا الميثاق أمر عظيم في علاقة العبد بالله تعالى. وعلى هذا الميثاق تتوقف امور كثيرة، شرحناها في كتابنا عن الميثاق.

ونقض الميثاق نقض للربوبية والعبودية ومتطلباتهما، التي أقر بها العبد، والتزم بها، ولذلك فإن الله تعالى يغضب على الذين

ينقضون الميثاق، ويعاقبهم أشد العقاب.
ومن أشد أنواع هذا العقاب أن يصيبهم بالقسوة والنضوب في قلوبهم.
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾البقرة/٧٤.
ويقول تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾المائدة/١٣.

٦ـ المجالس والمجالسة:

ومن عوامل القسوة الاكثار من المجالس المختلطة بين الجنسين وما يتخللها من الضحك وتبادل المزاح.
عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «اربع يمتن القلب: الذنب على الذنب، وكثرة مناقشة النساء (يعني محادثتهن) ومجاراة الأحمق (يعني مجادلته) ومجالسة الموتى.
فقيل له يا رسول الله: وما الموتى؟ قال كل غني مترف»[1].
ومن ذلك خلوة الرجال بالنساء وبالعكس، وهي أمر آخر غير

(١) الخصال للصدوق: ٢٢٨ ح٦٥.

المجالس المختلطة، ومنه مجالسة المترفين الفارغين عن الهموم والمسؤوليات، الظالمين الجائرين، الذين تتلخص حياتهم في البطر والرئاء والترف وأبتغاء زينة الدنيا ومتاعها، وليس لهم هَمٌّ ما وراء ذلك، وقد قرأنا ذلك في الرواية المتقدمة.

وفي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: اربع مفسدة للقلب: الخلوة بالنساء... ومجالسة الموتى. فقيل يا رسول الله وما الموتى؟ قال مجالسة كل ضال عن الإيمان وجائر عن الاحكام[1].

عوامل اخرى لقسوة القلوب:

وعلى الإجمال عوامل قسوة القلوب كثيرة لا يسعنا احصاءها في هذه العجالة.

من ذلك الجدال والمجاراة التي لا يطلب صاحبه الحق، وإنما يطلب الظهور والغلبة والافحام... ومثل هذا الجدال عقيم لا ينتج حقاً ولا يثمر ثمرة.

عن امير المؤمنين عليه السلام: «أياكم والمراء والخصومة فانهما يمرّضان القلوب على الاحزان، وينبت عليهما النفاق»[2].

(١) الامالي للطوسي: ١٢٢/٨٣.

(٢) الكافي: ٣٠٠/٢ ح١.

ومن ذلك طول الانغماس في الشهوات واللذات والفراغ والغفلة عن الله تعالى والغفلة عن الموت.
يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾الحديد/١٦.
ومن عوامل القسوة والنضوب، طول الأمل في الدنيا والغفلة عن الموت.
عن علي بن عيسى رفعة قال كان (فيما ناجى الله عز وجل به موسى. لا يُطَوَل في الدنيا أملك، فيقسو قلبك. والقاسي القلب منّي بعيد)(١).
ومن عوامل نضوب الروح وقسوة القلوب: أن لا يعمل الانسان بما يعلم، ويكون له وجهان، وجه الى الناس ووجه الى نفسه، ويختلفان ويتباينان، وكانهما وجهان لشخصين متباينين، وهو شعبة من الشعب النفاق، وهو قوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾الصف/٢-٣.

---

(١) الكافي: ٣٢٩/٢.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله أوحى الله الى داود عليه السلام: إن أدنى ما أنا صانع بهم (العلماء غير العاملين بعملهم) أن انزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم)[1].

ومن عوامل النضوب والقسوة: أكل الحرام عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من أكل الحرام: إسوَّد قلبه (يعني فقد الشفافية في قلبه) وضعفت نفسه (يعني ضعفت ارادته وعزمه) وقلت عبادته»[2].

وهذه ثلاث خصال ذميمه تَلْحَقُ الانسان، اذا تهاون في ابتغاء الحلال، ومدَّ يده الى الحرام.

يفقد الشفافية في نفسه

ويفقد العزيمة والارادة

ويفقد الشوق الى العبادة

ومن عوامل النضوب والقسوة، التعاون مع الظلمة، وأن يدخل الانسان في حاشية سلاطين السوء والحكام الظالمين، ويعمل لهم، وينفذ أوامرهم.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: اربعة يفسدن القلب وينبتن النفاق في

(١) ميزان الحكمة: ٤٢٢/٢.

(٢) غرر الحكم: ٦٩٨٥.

القلب استماع اللهو، والبذاء، واتيان باب السلطان، وطلب الصيد[1].

(١) روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ٤٢٠.

٥ـ العلاج

قبل أن ندخل بتفاصيل البحث عن علاج حالة القسوة في القلوب أود أن اشير الى عنوان عام في منهج التربية الاسلامية لعلاج امراض القلب، ولنيل المواهب الالهيّة ومعارج السلوك الى الله.

صدق المحاولة والسعي:

يكفي العبد أن يحاول صادقاً، بقدر ما أوتي من قوّة وحول، ثم يحاول ويعيد المحاولة، صادقاً ومن غير يأس، فاذا عرف الله تعالى منه صدق المحاولة رزقه، والانسان اذا كان لا يملك أن يدفع عن نفسه مرضاً او سوءاً، ولا يملك أن يكسب منزلاً وموقعاً من قرب الله، فهو يملك بالضرورة المحاولة، ويقدر عليها.

فاذا عمل بما يستطيع، وعرف الله تعالى منه الصدق في ذلك، رزقه الله مالا يستطيع.

عن الإمام الصادقعليه السلام: إن رسول اللهصلى الله عليه وآله أتى شباباً من الانصار، فقال إني أن اقرأ عليكم فمن بكى فله الجنة، فقرأ آخر الزمر ﴿وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً .... الى آخر السورة﴾ فبكى القوم جميعاً الا شاب، فقال: يارسول الله قد تباكيت فما قطرت عيني.

قال: إني أعيد عليكم، فمن تباكى فله الجنة. فاعاد عليهم فبكى القوم وتباكى الفتى[1].

عن الإمام الصادقعليه السلام: فأن لم يكن بك بكاء فتباك[2].

وعن سعيد بن يسار بياع السابري. قال قلت لابي عبد اللهعليه السلام: إني اتباك في الدعاء، وليس لي بكاء.. قال نعم. ولو مثل رأس الذباب[3].

وعن أبي عبد الله الصادقعليه السلام: أن لم يجئك البكاء فتباك، فإن خرج منك مثل رأس الذباب فبخ بخ[4].

وهذه قاعدة عامة في منهج التربية الاسلامية، تجري في كل امر يريد الانسان أن يدفعه عن نفسه من أمراض القلوب، او يكسبه لنفسه من منازل الصالحين والاوابين، وعلى العموم كل عمل صالح يسعى اليه الانسان لوجه الله، ولربما يشير الى هذه القاعدة الآية ١٨-٢٠ من سورة الاسراء.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ٦٣٨.

(٢) الكافي لثقة الاسلام الكليني: ٤٨٣/٢.

(٣) الكافي لثقة الاسلام الكليني: ٤٨٣/٢.

(٤) الكافي لثقة الاسلام الكليني: ٤٨٣/٢.

وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾الإسراء١٨-٢٠.
السعي هو المحاولة
وفي الآية الكريمة إرادتان وسعيان
الارادة الاولى والسعي الاول لمن يبتغي الدنيا فقط دون الآخرة من المشركين والفاسقين.
والارادة الثانية والسعي الثاني لمن يريد ما عند الله في الآخرة ويسعى اليه.
وبين السعي الاول والسعي الثاني فرق في سنن الله تعالى.
في الارادة الاولى والسعي الأول لمن يطلب بسعيه وإرادته الدنيا ويسعى اليها، يؤتيه الله من الدنيا، ولكن الله يقيد رزق الدنيا لهؤلاء بقيدين.
يؤتيهم من رزق الدنيا، ما يشاء هو من قليل او كثير، وليس ما يشاء الناس ويريدون، وهو قوله تعال: ﴿عجلنا له فيها ما نشاء﴾. وهذا هو القيد الأول.
والقيد الثاني يؤتى الله تعالى من رزق الدنيا من يشاء من الناس، وليس كل من يسعى الى الدنيا ينال رزق الدنيا، وهو قوله تعالى ﴿لمن نريد﴾ وهذا هو القيد الثاني.
فليس كل سعي ومحاولة للذين يطلبون رزق الدنيا خالصاً

ينجح، وإنما يقدر الله تعالى رزق هؤلاء في الدنيا بمقدار ما يشاء لمن يشاء منهم.

هذا في الارادة الاولى والسعي الأول

وأما في النمط الثاني من الارادة والسعي وهو من يريد الآخرة، ويسعى لها سعيها... فالأمر يختلف تماماً... اولئك يرزقهم الله كلما يريدون بدون استثناء، اذا سعو الى ما يريدون من الآخرة سعيها، وكل من يريد يرزقه الله ما يريد، بدون استثناء.

والشرط فقط ان يسعى اليها وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً ﴾الإسراء/١٩.

هؤلاء يشكر الله لهم كل سعيهم، ويتقبل منهم كل سعيهم، بدون نقص وتقييد، بل (ويزيدهم من فضله).

يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾النساء/١٧٣.

وهذا هو الفارق بين السعيين.

إن كان يسعى الانسان لدنيا دون الآخرة عجل الله له فيها ما يشاء، لمن يشاء.

وأن سعى الانسان للآخرة والعمل الصالح كان كل سعيه مشكورا ومقبولا من دون استثناء لساع وعامل او سعي وعمل

ويزيدهم الله من فضله.

وفيما يلي إتحدث إن شاء الله عن طائفة من العوامل التي ترفق القلوب وتذهب بقسوة القلوب.

البكاء:

﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾التوبة/٨٢.

البكاء من أعظم العوامل التي ترقق القلوب، وتذهب بالقسوة عنها، وتقضي على جَدَب القلوب ونضوبها.

ولرب شهقه واحدة من البكاء تنبعث من أعماق ضمائر العصاة والمذنبين تفجر الجليد المتراكم على قلوبهم لسنين طويلة.

ويتفق كثيراً أن يفجر الله تعالى البكاء في نفس بعض عبادة المذنبين، فيكون إنفجار البكاء فاصلاً بين مرحلتين من حياته، ويعيده البكاء الى الله، بعد هجر وفراق وإباق طويل.

أن البكاء دواء نابع لامراض القلوب المستعصية وللقلوب القاسية... وقد يحي الله تعالى القلوب الميته بالبكاء، يحي الله تعالى الأرض الميتة بالامطار.

أن جفاف العيون من آثار قسوة القلوب... وفي نفس الوقت البكاء من العوامل المهمة في ترقيق القلوب.

وعلاقة البكاء بالقلوب الرقيقة علاقة تبادلية جدليّة، فهي من نتائج رقة القلب وآثارها وفي نفس الوقت من عوامل وأسباب ترقيق القلوب.

والعلاقة التبادلية داخل النفس، بين الظواهر النفسية من رقائق الثقافة التربوية في الاسلام. ولا يسعنا المقام للدخول في هذه المقولة الآن.

إذن البكاء من مفاتيح الرحمة الالهية على الناس، أن الله تعالى يفتح القلوب المغلقة، المقفلة بالبكاء، فطوبى لمن تسعفه عيناه على البكاء ولا تشح عليه بقطرات الدموع، وطوبى للنفوس التي تعرف كيف تقدر دموع اصحابها، وكيف تفجر شهقات البكاء المكبوته بسبب المعاصي والذنوب داخل النفس.

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«البكاء من خشية الله مفتاح الرحمة»(١).

إن حالة البكاء، حالة الاقبال على الله وخشية القلوب من الله وخشوعها لله، وهبوط الرحمة على القلوب من عند الله، فاذا اسعد الله الانسان بالبكاء فليقبل على الله بالدعاء فانها ساعة

(١) غرر الحكم للامدي: ٢٠٥١.

رحمة، لا يُردّ فيها دعاء البته.
عن أمير المؤمنين عليه السلام: بكاء العيون وخشية القلوب من رحمة الله تعالى ذكره، فاذا وجدتموها فاغتنموا الدعاء[1].
فإن حقيقة الدعاء في اقبال القلب على الله، ولا يقبل العبد على الله حتى يقبل الله على عبده، واستجابة الدعاء من إقبال الله على عبده.
وقد أخبرنا الله تعالى أنَّ مع كل دعاء إستجابة (ادعوني استجب لكم)
وهو ما ذكرناه، والله العالم، إنَّ العبد اذا اقبل على الله تعالى اقبل الله عليه بالأجابة إن شاء الله.
ولا تدمع العيون من خشية الله حتى تقبل القلوب على الله، ولا تقبل القلوب على الله حتى يقبل الله عبده.
وهذه معادلات واضحة لمن أفعم النظر في كتاب الله.
عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا اقشعر جلدك، ودمعت عيناك، ووجل قلبك، فدونك. دونك فقد قصد قصدك»[2].
إن البكاء حزن وخوف والحزن والخوف من امارات الوعي.

---

(١) ميزان الحكمة: ١٨٣٥ عن مكارم الاخلاق للطبرسي: ٩٦/٢ ح ١٠.
(٢) عدة الداعي لابن فهد الحلي:١٠٢.

والمؤمن لا يفارقه الحزن وخائف من عاقبته في الدار الآخرة ومن موقفه بين يدي الله، فهو يشعر دائماً بالخسارة التي تلّمُ به في كل لحظة... فإن كل لحظة تفوت الانسان من عمره، لا يستثمرها في ذكر اله وطاعته خسارة وغفلة، والخسارة لا تلم بالإنسان الا بسبب الغفلة... وهذه الغفلات وما يتبعها من الخسر هي مصيبة الانسان، وحزين على ما فرط منه من الذنوب والمؤمن يشعر بهذه الخسارة ويعيها ويحزن لها... وذلك علامة اليقظة بعد الغفلة والسعي لاغتنام ما بقى له من لحظات العمر في الطاعة والعمل الصالح.

وإمارة هذه اليقظة والوعي الحزن على ما فات مما لن يعود البته، وهذا الحزن، حزن مبارك يحبه الله تعالى وإمارة هذا الحزن البكاء.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله «اذا احب الله عبداً نصب في قلبه نائحة من الحزن، فإن الله يحب كل قلب حزين. وانه لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن الى الضرع، وانه لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهمن في منخري المؤمن ابداً.

واذا ابغض الله عبداً جعل في قلبه مزماراً من الضحك، وإن

الضحك يميت القلب، والله لا يحب الفرحين»[1].

وكما أن البكاء والحزن وعي كذلك الفرح وجمود العين بلادة وبُلْه، لا يشعر صاحبه بما يلحقه من الخائر التي لا تعوض البته، ولا يعرف قيمة ما يفوته من عمره في كل يوم وكل ساعة، بل كل لحظة، فيكون صاحبه فرحاً لانه لا يشعر بقيمة ما يفقده من عمره من دون رجعه.

والله تعالى يميت هذا الفرح لانه لا يكون الا عن بلادة وبله، والله تعالى يريد من عبده الوعي واليقظة والانتباه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾القصص/٧٦.

إن حالة البطر، والرثاء، والنشوة، والتفاخر بالدنيا على الناس والتكاثر من الدنيا امارات البلادة والبله. وقد كان قارون من أولئك: زهو، وبطر، ورثاء، وفرح، ونشوة، وحرص، وتفاخر بالدنيا، وتكاثر منها.

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ

(١) عدة الداعي لابن فهد الحلي:١٠٣.

إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾القصص /٧٧.

البكاء يطفئ غضب الله على عبده ويطفئ بحاراً من نارهم:

نعوذ بالله من غضب الله، وإذا أحَلَّ بالانسان غضب الله –لا سمح الله– فلا معاذ للانسان ولا ملاذ من غضب الله الا ان يلوذ العبد بالله...

وأفضل ما يقدمه الانسان بين يدي الله ليعوذ بالله البكاء، فإن البكاء يطفئ غضب الله تعالى، ليس فقط على أصحاب البكاء، وإنّما على الامة التي يحضرها الباكون من خشية الله، وكما ان البكاء حزن كذلك البكاء خوف، والحزن والخوف امارتان للوعي، بل هما وعي، والحزن وعي والخوف وعي، الحزن وعي لما لحق الانسان من خسارة فادحة فيما سبق من عمره، والخوف وعي لموقف الانسان بين يدي الله تعالى يوم الحساب وهو يوم عسير على الانسان، لا يسلم فيه الانسان الذي يحمل ما يحمل من الوزر الا برحمة الله، فالمؤمن يخاف من موقفه بين يدي.

يقول علي بن الحسين عليه السلام: في دعاء الاسحار «ومالي لا ابكي. ابكي على ظلمة قبري . ابكي على ضيق صدري»

روى ثقة الاسلام الكليني عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام (والرواية صحيحة): «ما من شيء إلا وله كيل ووزن الا

الدموع، فإن القطرة تطفئ بحاراً من نار، فاذا غرورقت العين بمائها لم يرهق وجهه فتر ولا ذلة، فاذا ضاقت حرمة الله على النار ولو ان باكيا بكى في امة لرحموا»(١).

والروايتين تتضمن نقاطاً جديرة بالاهتمام والتأمل... نتوقف عندها باختصار.

لكل شيء كيل ووزن في الفعل والتأثير. الحرارة التي تصهر الحديد درجة معينة والتي تصهر الرصاص باقل من هذه الدرجة. والدواء الذي لا بد منه الشفاء المريض جرعة معينة، ولا ينفع المرض أقل من هذه الجرعة... وهذه سنن الله في كل فعل وانفعال، الا البكاء فإن قطرة واحدة منه تطفئ غضب الله، وتطفئ بحاراً من نار جهنم والمشهد الذي ترسمه الرواية عظيم. بحار متلاطمة من نار جهنم تتلقف من بعيد من يقرب منها تطفئها دمعة من عين بكت من خشية الله.

فاذا اغرورقت العين بالدموع لم يُصِبْ وجه صاحبها يوم القيامة فتر (غبار) ولا ذلة.

فاذا افاضت بالدموع، وسالت الدموع على وجه صاحبها حرم

---

(١) الكافي: ٢/٤٨١-٤٨٢.، (اغرورقت) عيناه: كانهما غرقتا في دمعهما. و(رهقه): غشية. و(الفتر) الغبار. و(ضاقت) سالت، وهي مرتبة فوق مرتبة الغرق.

الله تعالى سائر جسده على النار.
واو أن باكياً بكى في أمة من الناس لرحم الله تلك الامة بدموع الباكين... «ولو أنَّ باكياً بكى في أمة لُرحموا» فإن رحمة الله تعالى اذا نزلت على عبد عمت الناس، كما أنَّ العذاب إذا نزل على العصاة في الدنيا يعم سائر الناس ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾الأنفال/٢٥.
ان رياح الرحمة لو هبت على الناس بسبب بكاء الباكين الخاشعين يعم خيرها ويركاتها الآخرين، كما أن رياح العذاب والنقمة اذا اعصفت بسبب فساد المذنبين وذنوبهم يعم شرها الجميع.
وهذه سنة الهية في الحياة الدنيا. أما الآخرة فيوم (الفصل) ولا يزر يومئذ وازرة وزرة أخرى.

اكرم ثلاث عيون:

اكرم العيون عند الله ثلاثة:
١- عين قابلت مشهداً مثيراً حرمه الله تعالى فكبحت هواها، وتغلبت على نهمها، وتمكن صاحبها أن يغصبها عما حرمها الله تعالى... إن عملية الغض في هذا المشهد عملية ميسرة سهلة، اذا قيست بمقاييس الجهد العضلي، أما اذا قيست

بمقاييس الجهد النفسي فهي عملية عظيمة تتطلب جهداً نفسياً عظيما حتى تطاوع العين صاحبها في الغض عن حرم الله تعالى.

٢- وعين سهرت في طاعة الله، في المرابط ورصد العدو، ام في الدراسة، ام في الخفارة، ام في الجهد المعيشة ام في عبادة الله.

٣- وعين بكت في جوف الليل من خشية الله.

عندما يخلد الناس الى فراشهم، ويغلبهم النوم هناك ساهره باكية من خشية الله، تلك العيون تبصر مالا يبصره الآخرون.

روى الكليني في الكافي عن ابي عبد الله الصادقعليه السلام قال: «كل عين باكية يوم القيامة الا ثلاثة: عين غضت عن محارم الله، وعين سهرت في طاعة الله، وعين بكت في خوف الليل من خشية الله»[1] .

اقرب ما يكون العبد الى الله:

عاملان اثنان يقربان العبد الى الله كل على انفراد، وهما البكاء والسجود.

فاذا رزق الله عبداً ان يجمعهما مع بعض آتاه الله من اسباب

---

(١) الكافي: ٤٨٣/٢.

القرب الى الله أعظمها واقواها.

روى الكليني في الكافي: أن أقرب ما يكون العبد من الرب عز وجل وهو ساجد وباك[1].

ومن ذلك البكاء في الصلاة... فإن الصلاة من معارج القرب الى الله، فاذا اقترنت الصلاة بالبكاء، كانت الصلاة عندئذ من أعظم معارج القرب الى الله.

ولو لم يتيسر للعبد أن يبكي فليتباك، فإن التباكي يؤدي الى البكاء ولا محالة، ويحضر الانسان للبكاء.

روى الصدوق عن منصور بن يونس انه سأل الصادقعليه السلام عن الرجل يتباكى في الصلاة المفروضة حتى بكى؟ قال: قرة عين والله. وقال اذا كان ذلك فاذكروني عنده[2].

وعن سعيد بياع السابري قلت لابي عبد الله الصادقعليه السلام: ايتباكى الرجل في الصلاة؟ فقال بخ بخ، ولو مثل رأس الذباب[3].

---

(١) الكافي: ٤٨٤/٢.

(٢) وسائل الشيعة ابواب جهاد النفس الباب ١٥.

(٣) وسائل الشيعة الباب ٢٩ من ابوب الدعاء.

ثلاث قطرات كريمات عند الله:

وما من قطره افضل عنده من قطرتين قطرة دم في سبيل الله في ساحات الجهاد وقرة دمع من خشية الله في جوف الله.

عن الإمام زين العابدين عليه السلام:

ما من قطرة احب الى اله عز وجل من قطرتين قطرة دم في سبيل الله وقطرة دمعة في سواد الليل، لا يريدها عبد الله عز وجل[1].

ونضيف الى ذلك قطرة ثالثة وهو قطرة حبر يخط بها العلماء احكام الله وشريعية وثقافة دينه.

عن الصادق عليه السلام انه قال: اذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد، ووصف الموازين القسط، فيوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجع مداد العلماء على دماء الشهداء[2].

البكاء يحصن صاحبها من الذنوب:

ومن أعظم بركات البكاء في حياة الأنسان انها تمنح الانسان

---

(١) بحار الانوار: ٣٧٨/٦٩.

(٢) بحار الانوار: ١٤/٢ كتاب العلم باب ٨ ح٢٦ وكنز العمال: ١٤١/١٠ح ٢٨٧١٥.

نورا في قلبه، يعرف به الهدى عن الضلال والحق عن الباطل، فلا يلتبس عليه الحق بالباطل والهدى بالضلال ويمنح الانسان حصانة تجاه الذنوب، فلا يعاود صاحبها الذنب مرة اخرى.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «البكاء من خشية الله ينير القلب ويعصم من معاودة الذنب»(١).

البكاؤون

روى الصدوق في الامالي بسنده عن عروة بن الزبير ، قال : كنا جلوسا في مجلس في مسجد رسول الله عليهما السلام فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان.

فقال أبو الدرداء : ياقوم ، ألا اخبركم بأقل القوم مالا ، واكثرهم ورعا ، وأشدهم اجتهادا في العبادة ؟ قالوا : من ؟ قال : علي بن ابي طالب عليه السلام . قال : فو الله إن كان في جماعة أهل المجلس الا معرض عنه بوجهه.

ثم انتدب له رجل من الأنصار ، فقال له : ياعويمر ، لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ اتيت بها.

فقال ابو الدرداء : ياقوم ، اني قائل مارأ يت ، وليقل كل قوم منكم ما رأوا.

---

(١) غرر الحكم للامدي: ٢٠١٦.

شهدت علي بن ابي طالب عليه السلام : بشويحطات النجار، وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بمغيلات النخل، فأفتقدته، وبعد علي مكانه ، فقلت : لحق بمنزله ، فأذا انا بصوت حزين ونغمة شجي، وهو يقول :الهي ، كم من موبقة حلمت، عن مقابلتها، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك ،الهي إن طال في عصيانك عمري ، وعظم في الصحف ذنبي ، فما أنا مؤمّلٌ غير غفرانك، ولا انا براج غير رضوانك .

فشغلني الصوت، واقتفيت الأثر ، فأذا هو علي بن ابي طالب عليه السلام بعينه فأستترت له ، واخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر ، ثم فزع الى الدعاء والبكاء والبث والشكوى.

فكان مما ناجى به الله أن قال : الهي أفكر في عفوك فتهون علي خطيئتي ، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي. ثم قال : آه ان انا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها، وأنت محصيها، فتقول خذوه، فياله من مأخوذ، لاتنجيه عشيرته، ولاتنفعه قبيلته، يرحمه الملا اذا اذن فيه بالنداء . ثم قال : آه من نار تنضج الأكباد والكلى ، آه من نار نزاعة للشوى ، آه من غمرة من ملهبات لظى.

قال : ثم انعم في البكاء ، فلم اسمع له حسا ولا حركة ، فقلت

: غلب عليه النوم لطول السهر ، اوقظه لصلاة الفجر.
قال ابو الدرداء فاتيته فأذا هو كالخشبة الملقاة ، فحركته، فلم يتحرك وزويته فلم ينزو ، فقلت : انا لله وانا اليه راجعون . مات والله علي بن ابي طالب عليه السلام . قال فأتيت منزله مبادرا انعاه اليهم ، فقالت فاطمة عليها السلام : يا ابا الدرداء ، ماكان من شأنه ولا قصته ؟ فأخبرتها الخبر ، فقالت : هي والله — يا ابا الدرداء — الغشية التي تأخذه من خشية الله.
ثم اتوه ، فأفاق ونظر الي وانا ابكي ، فقال : مم بكاؤك ، يا ابا الدرداء ؟ فقلت : مما اراه تنزله بنفسك . فقال : يا ابا الدرداء ، فكيف لو رأيتني ودُعي بي الى الحساب ، وأيقن اهل الجرائم بالعذاب ، واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظُ فوقفت بين يدي الملك الجبار ، قد أسلمني الاحباء ، ورحمني أهل الدنيا ، لَكُنْتَ أشدَّ رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية.
فقال ابو الدرداء : فو الله مارأيت ذلك لأحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

(١) الامالي للصدوق: ١٣٧-١٣٩.

مناجاة علي بن الحسين عليه السلام وبكاؤه:

يقول علي بن الحسين عليه السلام في مناجاته ودعائه المعروف الذي يريه عنه ابو حمزة الثمالي رحمه الله.

وانقلني الى درجة التوبة اليك واعني بالبكاء على نفسي ، فقد افنيت بالتسويف والآمال عمري، وقد نزلت منزلة الآيسين من خيري.

فمن يكون أسوء حالا مني ، إن أنا نقلت على مثل حالي الى قبر لم أمُهده لرقدتي، ولم افرشه بالعمل الصالح لضجعتي، ومالي لا ابكي وما ادري الى ما يكون مصيري ،وأري نفسي تخادعني وأيامي تخاتلني ، وقد خفقت عند رأسي اجنحة الموت.

فمالي لا أبكي ، أبكي لخروج نفسي، أبكي لظلمة قبري. أبكي لضيق لحدي، أبكي لسؤال منكر ونكير اياي، أبكي لخروجي من قبري عريانا ذليلا حاملا ثقلي على ظهري.

شأن يعينه وجوه أنظر مرة عن يميني واخرى عن شمالي إذ الخلائق في شأن غير شأني لكل امرئ منهم يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة، ووجوه يومئذ عليها غبرة، ترهقها قترة وذلة.

سيدي عليك معولي، ومعتمدي، ورجائي، وتوكلي،

وبرحمتك تعلقي.

تصيب برحمتك من تشاء، وتهدي بكرامتك من تحب .

فلك الحمد على ما نقيت من الشرك قلبي، ولك الحمد على بسط لساني ، افبلساني هذا الكال اشكرك ام بغاية جهدي في عملي ارضيك ، وما قدر لساني يارب في جنب شكرك وما قدر عملي في جنب نعمك واحسانك الي[1].

اقسام البكاء:

ولبكاء اقسام منها البكاء من خشية الله عن سول الله صلى الله عليه وآله: سبعة في ظل عرش الله يوم لا ظل الا ظله... ورجل ذكر الله عز وجل ففاضت عيناه من خشية الله[2].

وعنه صلى الله عليه وآله: من خرج عينيه مثل الذباب من الدمع من خشية اله أمنه الله يوم الفزع الأكبر[3].

ومنه البكاء على النفس، حسرة على ما فرط الانسان من حياته وعمره، وما اقترفه من الذنوب.

كان فيما اوحى الله الى موسى عليه السلام: ابك على نفسك ما دمت

---

(١) مصباح المشهد للشيخ ابي جعفر الطوسي ص٥٩١.

(٢) بحار الانوار: ٢/٨٤ ح ٧١.

(٣) بحار الانوار: ٣٣٦/٩٣ ح ٣٠.

في الدنيا، وتخوف العطب والمهالك، ولا تغرنك زينة الحياة الدنيا وزخرفها(١).

وعن عدة الداعي لابن فهد الحلي فيما اوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام: ابك على نفسك بكاء من قد ودعّ الاهل، وقلا الدنيا، وتركها لاهلها، وصارت رغبته فيما عند الهه(٢).

البكاء على سيد الشهداء عليه السلام

ومن أفضل البكاء البكاء على مصيبة سيد الشهداء عليه السلام... فقد ورد في فضله ورأينا من بركاته ما لا يسعنا احصاءه في هذه الخلاصة.

ولكننا سوف نتحف القارئ ببعضها إن شاء الله. وفيه قرة عيون المؤمنين.

روى ابن قولويه في كامل الزيارات:

عن مسمع بن عبد الملك كردين البصر ي قال قال لي ابو عبد الله عليه السلام: يامسمع انت من اهل العراق ام. تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قلت لا، أنا رجل مشهور عند اهل البصرة،

---

(١) عدة الداعي لابن فهد الحلي: ١٥٦.

(٢) عدة الداعي لابن فهد الحلي: ١٥٦.

وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة، وعدونا كثير من أهل القبائل وغيرهم من النصاب، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثلون بي.

قال لي أفما تذكر ماصنع به؟ قلت: نعم قال فتجزع؟ قلت أي والله وأستعبر لذلك، حتى يرى أهلي أثر ذلك علي، فأمتنع من الطعام، حتى يستبين ذلك في وجهي.

قال رحم الله دمعتك اما إنك من الذين يُعَدّون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزنا، ويخافون لخوفنا، ويأمنون إذا آمنا. أما إنَّك سترى عند موتك حضور آبائي لك، ووصيتهم ملك الموت بك، وما يلقونك به من البشارة افضل، ولملك الموت أرقَّ عليك وأشدَ رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها.

قال ثم استعبر واستعبرت معه فقال الحمد لله الذي فضلنا على خلقه بالرحمة، وخصنا أهل البيت بالرحمة . يا مسمع إنَّ الأرض والسماء لتبكي منذ قتل امير المؤمنين عليه السلام رحمة لنا، ومابكى لنا من الملائكة اكثر، وما رقأت دموع الملائكة منذ قتلنا وما بكى أحد رحمة لنا، ولما لقينا الا رحمه الله قبل ان تخرج الدمعة من عينه، وأنَّ الموجع قلبه لنا ليفرح يوم يرانا

عند موته فرحة لاتزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض [1].

وفي المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة .

عن محمد بن سهل قال دخلت مع الكميت على ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في أيام التشريق، فقال له : جعلت فداك ، ألا أنشدك ؟ قال عليه السلام: إنَّها أيام عظام قال : إنَّه فيكم . قال عليه السلام هات ، وبعث ابو عبد الله الى بعض اهله ، فقرب، فأنشده (في رثاء الحسين عليه السلام) ، فكثر البكاء حتى أتى على هذا البيت :

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم
فيا آخرا أسدى له الغي أوّلُ

قال : فرفع ابو عبد الله يديه فقال :الهم اغفر للكميت ماقدم وما آخر ، وما أسر وما اعلن حتى يرضى .

وفي كامل الزيارات بالأسناد عن عبد الله بن غالب قال : دخلت على ابي عبد الله عليه السلام فأنشدته مرثية الحسين بن علي ، فلما انتهيت الى قولي فيها :(لبلية ...) البيت صاحت باكية من وراء الستر يا ابتاه ...

وروى الصدوق في الأمالي وثواب الأعمال ، وابن قولويه بأسانيد معتبرة ، عن ابي عمارة قال : قال لي ابو عبد الله عليه السلام :

---

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: ص١٠١.

ياابا عمارة ، أنشدني في الحسين عليه السلام ،فأنشدته فبكى، ثم انشدته فبكى ، قال : فو الله مازلت انشده فهو يبكي ، حتى سمعت البكاء من الدار ، فقال : يا ابا عمارة ، من أنشد في الحسين بن علي صلى الله عليه وآله فأبكى خمسين فله الجنة ، ومن أنشد في الحسين بن علي صلى الله عليه وآله فأبكى ثلاثين فله الجنة ، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرين فله الجنة ، ومن أنشد في الحسين فبكى فله الجنة ، ومن أنشد في الحسين فتباكى فله الجنة .

وروى الصدوق في ثواب الأعمال ، بالأسناد الى ابي هارون المكفوف قال : دخلت على ابي عبد الله الصادق عليه السلام فقال لي : يا ابا هارون ، أنشدني ، فأنشدته في الحسين عليه السلام،فقال لي : انشدني كما تنشدون–يعني بالرقة ، قال : فأنشدته :

امرر على جدث الحسين
وقل لأعظمه الزكية

ما طاب عيش بعد
رضك بالجياد الاعوجيّة

قال : فبكى ، ثم قال : زدني ، فأنشدته القصيدة.

قال : فبكى وسمعت البكاء من ةخلف الستر ، فلما فرغت قال : يا ابا هارون ، من أنشد في الحسين فبكى وابكى عشرة كتبت له الجنة — الى ان قال : - ومن ذكر الحسين عنده فخرج من عينيه مقدار جناح ذبابه ، كان ثوابه على الله عز وجل، ولم يرض له بدون الجنة .

وروى الكشي بسند معتبر عن زيد الشحام قال : كنا عند ابي

عبد الله عليه السلام ، فدخل عليه جعفر بن عفان ، فقربه وادناه ، ثـم قال : ياجعفر[1].

---

(١) هو ابو عبد الله جعفر بن عفان الطائي ، من رجال الشيعة المخلصين ، كان معاصرا للأمام الصادق عليه السلام ، وقد اطراه علماء الرجـال ووثقـوه ، ومن مراثيه في الأمام الحسين عليه السلام قوله :

ليبك على الاسلام من كان باكيا ❊
فقد ضُيِعت احكامه واُستحلت

غداة حسين للرماح ردية ❊
وقد نهلت منه السيوف وعلت

وغودر في الصحراء لحما مبددا ❊
عليه عتاق الطير باتت وظلت

فما نصرته أمة السوء اذ دعا ❊
لقد طاشت الأحلام منها وضَلَّت

بلى قد محوا انوارهم بأكفهم ❊
فلا سلمت تلك الأكف وشَلّت

وناداهم جهدا بحق محمد ❊
فأن ابنه من نفسه حيث حلت

فما حفظوا قرب النبي ولا رعوا ❊
وزَلّت بهم اقدامهم واستزلت

اذاقته حر القتل أمُة جده ❊
هفت نعلها في كربلاء وزلت

فلا قَدّس الرحمن آل أمته ❊
وان هي صامت للاله وصلت

كما أفجعت بنت النبي بنسلها ❊

←

قال لبيك ، جعلني الله فداك . قال بلغني إنّك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد . فقال له : نعم ، جعلني الله فداك .
قال : قل ، فأنشده فبكى ومن حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته.
ثم قال : ياجعفر ، والله لقد شهدت الملائكة المقربون قولك في الحسين عليه السلام ولقد بكوا كما بكينا وأكثر — الى ان قال :-
ما من احد قال في الحسين شعرا فبكى وابكى به الا اوجب الله له الجنة (١).

الاستغفار

من العوامل المؤثرة والنافعة في ترقيق القلوب الاستغفار، إن كان الاستغفار نابعا عن ندم حقيقي يشعر به الانسان . وهو من افضل العلاج لأمراض القلوب
عن رسول الله صلى الله عليه وآله : ألا أدلكم على دائكم ودوائكم . ألا إن

← وكانوا حماة الحرب حيث استقلت
وكانوا سرورا ثم عادوا رزية ❊
لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
(١) المجالس الفاخرة للسيد عبد الحسين شرف الدين: ٦٣-٧٣.

دائكم الذنوب ودوائكم الأستغفار(١). وعنه ﷺ ايضا لكل داء دواء ودواء الذنوب الأستغفار(٢).

وقد كان رسول الله ﷺ يستغفر الله في كل يوم مائة مرة او سبعين مرة من غير ذنب، ويقول كما في الرواية المشهورة عنه ﷺ : (انه ليغان عن قلبي ، واني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)(٣).

وفي رواية اخرى عنه ﷺ : انه ليغان على قلبي ، واني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة(٤).

والغين الغشاوة الخفيفة على القلب. ولم يكن لرسول الله ﷺ ذنب ... ومع ذلك كان يستغفر الله ليزيل عن قلبه ما يمكن ان يصرف قلب المؤمن عن ذكر الله ولو لبعض الوقت في لحظات . وقد روى عن الأمام الصادق عليه السلام : كان رسول الله ﷺ يتوب الى الله في كل يوم سبعين مرة من غير ذنب(٥).

---

(١) ميزان الحكمة: ح ١٥١٠٠ عن الترغيب والترهيب: ٤٦٨/٢.

(٢) ميزان الحكمة: ١٥١٠١ عن كنز العمال: ٢٠٨٩.

(٣) مستدرك الوسائل: ٣٢٠/٥٠ ح ٥٩٨٧.

(٤) مستدرك الوسائل: ٣٢٠/٥٠ ح ٥٩٨٦.

(٥) الكافي: ٤٣٨/٢.

الاستغفار يذهب بالذنوب وأوزارها :

إنَّ الاستغفار يذهب بالذنوب وأوزارها وأعراضها والآثار التي تتركها في نفوس الناس. واليك ايضاح لهاتين المعادلتين.

الأستغفار يذهب بالذنوب، لاشك في ذلك، واذا تساقطت الذنوب عن العبد تتساقط عنه الأثار والأوزار التي تتركها الذنوب على قلب العبد .

فأن الذنوب تتحّول الى حجب تحجب العبد عن الله وأوزار واثقال تثقل حركة العبد وعروجه الى الله .

فأذا تساقطت عنه الذنوب تتساقط عنه الأوزار والحجب التي تحجبه عن الله كالقسوة والجدب والنضوب في القلوب انشاء الله.

أما أنّ الأستغفار يذهب بالذنوب فقد ورد في ذلك كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله نصوص صريحة كثيرة. يقول تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ آل عمران -١٣٥

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ - النساء - الآية - ١١٠

وعن رسول اللهﷺ (أكثروا من الأستغفار فأن الله عزوجل لم يعلمكم الأستغفار الا وهو يريد ان يغفر لكم)[١].

وعن رسول اللهﷺ : إنّ الله تعالى يغفر للمذنبين إلا من لايريد أن يُغْفَر له . قالوا يارسول الله ، من الذي يريد ان لا يُغْفَر له قال من لا يستغفر[٢].

وعن امير المؤمنين عليه السلام : من أعِطى الأستغفار لم يحرم المغفرة[٣] .

وعن الأمام الرضا عليه السلام : مثل الأستغفار مثل ورق على شجرة تحرك فيتناثر[٤].

واذا تساقطت الذنوب عن العبد بالأستغفار ترتفع الاعراض التي جائت بسبب الذنوب مثل النضوب والجدب والقسوة في القلوب ... فأن هذه الأعرض هي التي تحجب العبد عن الله وعن رحمة الله ... والله تعالى يقول « وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا» - النساء - الآية — ١١٠

(١) ميزان الحكمة: ١٥٠٩٣ نقلا عن تنبه الخواطر: ٥/١.
(٢) مستدرك وسائل الشيعة: ١٢٢/١٢ ح١٣٦٨٥.
(٣) نهج البلاغة قسم الحكم. الحكمة ١٣٥.
(٤) الكافي: ٥٠٤/٢ ح٣.

وانما يجد العبد الله غفوراً رحيما اذا تساقطت عنه مع الذنوب الحجب التي تحجبه عن الله ورحمته والأوزار التي ترهقه وتثقله وقد يشير اله هذا المعنى ماروي عن امير المؤمنينعليه السلام (الأستغفار لمحو الأوزار)(١).

والوزر الثقل الذي يثقل القلوب ويسليها خفة الحركة والعروج الى الله كقوله تعالى « لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً » النحل — الآية ٢٥ . وهو بمعنى قوله (وليحملن اثقالا واثقالا مع اثقالهم) .

الاستغفار امان للقلوب ولأهل الأرض:

كما أنَ الأستغفار أمان للقلوب والنفوس، كذلك أمان للمجتمع من عذاب الله ... فلا ينزل العذاب في أمة من الناس فيهم من يستغفر الله تعالى.

عن امير المؤمنين عليه السلام : إنّ الله عز وجل إذا أراد أن يصيب أهل الأرض بعذاب . قال : لولا الذين يتحابون بجلالي، ويَعْمرون مساجدي ، ويستغفرون بالأسحار لأنزلت عذابي(٢).

---

(١) غر الحكم: ٣٤٢.

(٢) وسائل الشيعة: ٣٧٤/١١.

وعن امير المؤمنين عليه السلام ايضا: كان في الارض أمانان من عذاب الله . وقد رفع أحدهما، فدونكما الأخر فتمسكوا به . أمّا الأمان الذي رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وآله وأمّا الأمان الباقي الأستغفار . قال الله تعالى : « وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »(١).

الإستغفار في الأسحار

ومن أفضل اوقات الأستغفار ، الأسحار .ولا شك في ان للزمان تأثير في إقبال القلوب على الله، وفي نشاط القلوب في الدعاء والذكر والحمد والتسبيح ، كما لاشك في أنّ للزمان تأثير في الرحمة الهابطة من عند الله على الناس ... ومن هذا وذاك نقول أنّ للأستغفار في الأسحار تأثير ليس في غيرها من الأوقات .

كما أنّ الرحمة الهابطة من عند الله تعالى على الصالحين من عباده المتهجدين المستغفرين بالأسحار أعظم وأكثر من أي وقت آخر ، ففي الاسحار تنشط القلوب للأنابة والإخبات والاستغفار، وفي الأسحار تتفتح القلوب على الله تعالى أكثر من أي وقت آخر، وفي الأسحار تتفتح ابواب رحمة الله على

(١) نهج البلاغة/ الحكمة: ٤٣٥.

المتهجدين المستغفرين بالأسحار إكثر من أي وقت .
نحن نعرف كل ذلك من خلال قناة الوحي ، وقناة الوحي هي القناة الوحيدة التي توصلنا الى المستور عن عقولنا وحواسنا، وتفتح علينا خزائن الثقافة الربانية التي لا نجدها في قناة أخرى غير قناة الوحي... وقد فتح الله تعالى علينا هذه الخزائن من خلال رسول الله صلى الله عليه وآله.
والعلاقة بين الإنابة والذكر والإستغفار الصاعد الى الله ، والرحمة الهابطة من لدن الله على قلوب المنبيبين والذاكرين والمستغفرين في الأسحار، من الغيب الذي لانعرفه الا من خلال قناة الوحي الذي يفتحها الله على انبيائهم عليهم السلام.
يقول تعالى «الصابرين والصادقين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار » آل عمران – ١٧
ويقول تعالى في صفة المحسنين :«كانوا قليلا من الليل مايهجعون . وبالأسحارهم يستغفرون » الذاريات /١٧ – ١٨
عن الإمام الصادق عليه السلام : من قال في وتره إذا وتر (أستغفر الله وأتوب اليه) سبعين مرة ، وهو قائم فواظب على ذلك حتى يمضي له سنة . كتبه الله عنده من المستغفرين

بالأسحار، ووجبت له المغفرة من الله عز وجل[1].
وكان ابو الحسن الاول (عليه السلام) إذا رفع رأسه من آخر ركعة الوتر قال: «هذا مقام من حسناته نعمة منك، وشكره ضعيف، وذنبه عظيم، وليس له إلا عفوك ورحمتك فأنك قلت في كتابك المنزل على نبيك المرسلﷺ: (كانوا قليلا من الليل مايهجعون وبالأسحار هم يستغفرون) .
الهي طال هجوعي، وقلَّ قيامي، وهذا السحر، وأنا استغفرك لذنبي، إستغفار من لم يجد لنفسه ضّرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ثم يخر ساجدا صلوات الله عليه[2].

قراءة القرآن:
للقرآن تأثير عظيم على القلوب . ينعش القلوب الخاملة، وشفاء للقلوب المريضة، وحياة للقلوب الميته،
وتذكير للقلوب الغافلة عن ذكر الله، وتنبيه للقلوب اللاهية عن الله وعن اليوم الآخر .
وما نعرف كلاما يؤثر في النفوس مثل القرآن، إذا كانت لا تريد لجاجآ وعنادا . أمَا اذا كانت تريد لجاجا وعنادا وظلما

(١) الخصال للصدوق: ٥٨١.
(٢) الكافي لثقة الاسلام الكليني: ٣٢٥/٣.

وخلافا وحربا فلا ينفعها القرآن بل يزيدها خسارا . ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً﴾ الأسراء / ٨٢

يقول تعالى- والخطاب هنا للناس –لعموم الناس : «﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾» يونس / ٥٧

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾فصلت / ٤٤ .

ان الذي نفهمه عن آيات سورة الأسراء ويونس وفصلت : أنّ من يُقْبل على القرآن، يقبل الحق والهدى يمنحه القرآن الشفاء والهدى والنور، والذي يقرأ القرآن او يسمعه للشقاق والخلاف والعناد والمقابلة يزيده القرآن خسارا .

يقول امير المؤمنين عليه السلام:(ما جالس هذا القرآن أحد الا قام عنه بزيادة او نقصان . زيادة في هدى او نقصان من عمى)(١).

والإمامعليه السلام يتصد بذلك من يُقبِل على القرآن.

وهو كلا عجيب يلقيه الأمام عليه السلام بقوة وثقة واطمأنان لا

(١) نهج البلاغة/ الخطبة رقم ١٧٤، وبحار الانوار: ٣٢-١٢٤.

يجالس أحد القرآن إن لم يكن عن عناد وخلاف الا ويزداد بصيرة وهدى ، وينقص ضلالا وجهلا .

عن رسول الله عليهما: « استشف بالقرآن ، فأن الله عز وجل يقول : شفاء لما في الصدور »(١).

وايضا عنه عليهما : « القرآن هو الدواء »(٢).

وعن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه: « ذلك القرآن فاستنطقوه، ولن ينطق ، ولكن أخبركم عنه، الا إنّ فيه علم يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء ، دائكم، ونظم امركم»(٣).

وعنه عليه ايضا : « واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ، ولا لأحد قبل القرآن من غنى ، فاستشفوه من ادوائكم ، واستعينوا به على لأوائكم : (محنتكم وشدتكم)، فأن فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال»(٤).

وعن موسى بن جعفر الكاظم عليه:« في القرآن شفاء من كل

---

(١) بحار الانوار: ١٧٦/٩٢ عن (عدة الداعي).

(٢) بحار الانوار: ١٧٦/٩٢ عن (عدة الداعي).

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٥٨ (١٥٦) وبحار الانوار:٢٣/٩٢.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٧٦.

داء »[1].

دخل جبرين مطعم – وهو مشرك – على رسول الله عليهما السلام لأطلاق سراح الأسرى بعد معركة بدر، ورسول الله قائم يصلي، فسمع النبي صلى الله عليه وآله، وهو يقرأ في المغرب (والطور) فلما بلغ قوله تعالى « ام خلقوا من غير شيئ ام هم الخالقون ام خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون »

يقول: كاد قلبي ان يطير وذلك اول ما دخل الأسلام قلبي[2].

وعن ابن مسعود لما نزل قوله تعالى «ياأيها الذين آمنوا قوا انفسكم و اهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ».

تلاها رسول الله صلى الله عليه وآله على اصحابه فخر فتى مخشيا، فوضع النبي عليهما السلام يده على فؤاده، فوجده يكاد يخرج من مكانه . فقال صلى الله عليه وآله : يافتى، قل لا اله الا الله، فتحرك الفتى فقالها، فبشره النبي بالجنة. فقال القوم .. يارسول الله من بيننا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله : أما سمعتم الله يقول « ذلك لمن خاف مقامي

(١) مكارم الاخلاق: ٤٢٠ باب الاستشفاء بالقرآن.

(٢) معترك الأقران للسيوطي: ٢٤٣/١ والدين والأسلام: ٣٧٠/٢.

وخاف وعيد »[1].

وقالوا إنَّ الفضيل بن عياض[2] كان أولّ عمره من قُطّاع الطريق بين ابيورد وسرخس ، وعشق جارية ، فارتقى ليلا الجدار اليها ، فسمع قارئا يقرأ القرآن في آناء الليل، وقد بلغ هذه الأية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الحديد / ١٦ .

فقال : ياربي قد آن . ورجع وتاب وحقت توبته واستقام امره.

وكان لفضيل بن عياض ولد اسمه علي . سمع يوما قارئا في المسجد الحرام يقرأ قوله تعالى : ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ ﴾إبراهيم/٤٩-٥٠..

فصعق صعقه من اثر القرءاة وسقط[3].

وعن حرم العبدي قال : قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا أويس (العزيزي) اسأل عنه . فدفعت اليه بشاطئ الفرات

---

(١) معترك الأقران في اعجاز القرآن للسيوطي: ٢٤٣/١ والدين والإسلام: ٣٧٠/٢.

(٢) له ترجمة في تذكرة الحفاظ: ٢٢٥/١، وتهذيب التهذيب: ٢٩٤/٨، والجواهر المضيئة: ٨٤/١، ووقيات الأعيان: ٢١٥/٣.

(٣) روضات الجنان: ٢٢/٦.

(فوجدته) يتوضأ ويغسل ثوبه فعرفته بالنعت . فأذا رجل آدم محلوق الرأس ، كث اللحية ، مهيب المنظر ، فسلمت عليه .
فقلت: السلام عليك ياأويس كيف انت يااخي ؟ حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله حديثا لأحفظه عنك.
اني لم أُدْرك رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن لي معه صحبة، وقد رأيت رجالا رأوه. وقد بلغني عن حديثه كبعض مابلغكم، ولست أحبَّ أن افتح هذا الباب على نفسي.
قال قلت :فاتل على آيات من كتاب الله عز وجل أسمعهن منك، واوصني بوصية .فأخذ بيدي وجعل يمشي على شاطئ الفرات . ثم قال أحقّ القول قول ربي عز وجل، وأصدق الحديث حديث ربي عز وجل، وأحسن الكلام كلام ربي: اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾الدخان / ٤٠ .
قال ثم شهق شهقة فأنا احسبه قد غش عليه . ثم قرأ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾الدخان/٤١-٤٢.
ثم نظر الى فقال: ياحرم وصيتي لك يا ابن حيان كتاب الله عز وجل، وعليك بذكر الموت، فأن استطعت ان لا يفارق

قلبك طرفة عين فافعل، وأنذر قومك اذا رجعت اليهم[1].

الموعظـة:

الموعظة أسلوب بياني في التذكير بالله تعالى وباليوم الآخر وبالأخطار التي تحيق الانسان والتنبيه بها . والقرآن موعظة ﴿هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾آل عمران / ١٣٨ .

﴿وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾المائدة / ٤٦ .

عن امير المؤمنين علي عليه السلام :(ان الله لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن)[2].

ويأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله بالمواعظ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ سبأ / ٤٦ . ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً ﴾النساء / ٦٣ .

والمواعظ من انجح الوسائل التي نعرفها في ترقيق القلوب واحيائها. وعنه عليه السلام ايضا : (المواعظ صقال النفوس. وجلاء

---

(١) حلية الأولياء: ٢/٨٤-٨٥.

(٢) نهج البلاغة.

القلوب)[1]، تصقل القلوب، وتجلوا النفوس.
وعنه عليه السلام ايضا : (بالمواعظ تنجلي الغفلة)[2].
وعن امير المؤمنين عليه السلام في حديث لأبنه الحسن عليه السلام (احيي قلبك بالموعظة وامته بالزهادة)[3].
وهاهنا موت وحياة. وحياة القلوب بالموعظة، وموته بالزهادة. والمقصود بالحياة حياة القلوب في إنفتاحها واقبالها على الله، وذكرها، وانشدادها بالله وأنسها وشوقها الى الله.
وللنفس نزوات تسري الى القلب، وتنعكس عليه، وهي نزوات حيوانية ولابد لمن يريد العروج الى الله من أن يلجم نزوات قلبه بلجام الزهادة. وهذا هو موتها. فأن الوجه الآخر للزهد في الدنيا الأعراض عنها الأقبال على الله .فهما وجهان لقضية واحدة: الوجه الأول الإقبال على الله، والوجه الثاني الاعراض عن الدنيا.
وعن امير المؤمنين عليه السلام (احيي قلبك بالموعظة ... وذلله بذكر الموت، وبصّره فجائع الدنيا، وحذّره صولة الدهر ، وفحش

(١) نهج البلاغة قسم الكتب كتاب(٣).
(٢) غرر الحكم: ٤١٩١.
(٣) نهج البلاغة: قسم الكتب ٣١.

تقلب الليالي والأيام، واعرض عليه اخبار الماضيين).
وعلى الأنسان أن يعرض نفسه للموعظة بين حين وحين ، فأن القلوب تُسْرع اليها الغفلة ، وتلهو وتقسو ،والموعظة تعيدها الى رشدها وصوابها واستقامتها ، وتزيل عنها الغفلات والسهوات ،وترققها .
ولرب كلمة موعظة بليغة تحيي القلوب الميتة ، وترقق القلوب القاسية ، وتذكّر القلوب الغافلة.
ونوحي المؤمنين بتلاوة كتاب الله، والمواظبة عليه. ففي كتاب الله أفضل المواعظ.
ونوصيهم بقراءة (روضة الكافي) للشيخ الكليني، وكتاب (تحف العقول)، و(نهج البلاغة) ففي هذه الكتب مواعظ شافية ترقق القلوب وترويها وتحييها .

الاحتراز عن طول الأمل في الدنيا

طول الامل في الدنيا يلهي الانسان عن الموت ، وهو من أسباب قسوة القلوب . روى ثقة الأسلام الكليني في الكافي عن علي بن عيسى رفعه ، قال : فيما ناجى الله عز وجل — موسى عليه السلام : **لاتطول في الدنيا املك فيقسوا قلبك** ، والقاسي

القلب منّي بعيد[١].

وعن علي عليه السلام : (ما اطال عبد العمل الا أساء العمل[٢].

وعنه عليه السلام ايضا : (اكثر الناس املا أقلهم للموت ذكرا)[٣].

وعلاجه ان يُقَصَّر الأنسان امله في الدنيا ، ويجعل الموت نصب عينيه، ويستحضر ذكر الموت، ويفكر فيه ويطيل التفكير فيه.

عن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام :إنَّ الدابة اذا لم تركب، ولم تمتهن وتستعمل، لتصعب ويتغير خلقها ، وكذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت، ويتبعها دؤوب العبادة تقسوا وتغلظ[٤].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: (اكثروا ذكر هادم اللذات)[٥].

وعن امير المؤمنين عليه السلام : (الا فأذكروا هادم اللذات ومنغّص الشهوات ، وقاطع الأمنيات عند المساورة للأعمال

---

(١) الكافي: ٣٢٩/٢.

(٢) بحار الأنوار: ١٦٦/٧٢ ووسائل الشيعة: ٤٧٢/٢ (آل البيت)

(٣) غرر الحكم للآمدي: ٤١٩٠/١.

(٤) بحار الأنوار: ٣٠٩/١٤.

(٥) وسائل الشيعة: ٤٢٦/٢ (آل البيت)

القبيحة)[1]

ولم يحرم الأسلام اللذات المحللة وابتغاؤها ، ولكن ذكر هادم اللذات (الموت) يُعَدِّلُ سلوك الإنسان وطموحاته ، ويجعل أمله في الدنيا قصيرا ويرقق قلبه .

التقوى

ومن أعظم عوامل ترقيق القلوب التقوى، وكف النفس عن الذنوب، فإن لها دورا مؤثرا في ترقيق القلوب وإزالة النضوب والقسوة منها .

عن امير المؤمنين عليه السلام : (إنَّ تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمى افئدتكم ، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم ، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشا، أبصاركم)[2].

التوبة

وكما الاستغفار يحيي القلوب الميته ، وقد تحدثنا عنه، كذلك التوبه يحييها ، ويزيل القسوة والنضوب عنها، وينعشها

(١) نهج البلاغة خطبة٩٩.

(٢) التوبة خط١٩٨.

.وبعكس ذلك الذنوب فأن الذنب على الذنب، ومواصلة الذنب، والأصرار عليه يميت القلوب .
عن الأمام زين العابدين عليه السلام في مناجاة التائبين (الهي البستني الخطايا ثوب مذلتي ، وجللني التباعد منك لباس مسكنتي ، وأمات قلبي عظيم جنايتي ،فأحيه بتوبة منك يا أملي وبغيتي)[1].

مجالسة الصالحين

مجالس اللهو ، ورفاق السوء ، ومجالسة المترفين الفارغين اللاهيه قلوبهم عن ذكر الله تميت القلوب وتحجبها عن الله ، وتقسى القلوب ... وبالعكس مجالسة الصالحين الذين يذكّرون الأنسان بالله تعالى تحيي القلوب وترققّها
عن امير المؤمنين عليه السلام :(لقاء اهل الخير عمارة القلوب)[2].
وعنه عليه السلام ايضا :(لقاء اهل المعرفة عمارة القلوب ومستفاد الحكمة)[3].

---

(١) بحار الأنوار: ١٤٢/٩٤.
(٢) بحار الأنوار: ٢٠٨/٧٧.
(٣) غرر الحكم للآمدي: ٧٦٣٥.

وعنه عليه السلام ايضا :(عمارة القلوب في معاشرة ذوي العقول[1].

عن المسيح عليه السلام يابني اسرائيل زاحموا العلماء في مجالسهم ، فإن الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة، كما يحيي الأرض بوابل المطر[2].

وعن امير المؤمنين عليه السلام : (معاشرة ذوي الفضائل حياة القلوب)[3].

هذه النصوص جمعا تؤكد حقيقة هامة في منهج التربية الإسلامية وهي أنَّ مجالسة الصالحين عمارة للقلوب، ومجالسة الغافلين اللاهية قلوبهم عن ذكر الله تخريب للقلوب وموت لها .

التفكر

إنَّ الفكر موهبة من أعظم مواهب الله تعالى للأنسان. فمن الناس من يستفيد من هذه الموهبة الالهية، ويستخدمها، ويوظفها في تكامله الفعلي والروحي ، ومن الناس من يعطّلها ، ويعيش حالة من البلادة. وهذه البلادة لاتتنافى مع العلم .

---

(١) نهج البلاغة الكتاب: ٣١.

(٢) تحف العقول: ٣٩٣.

(٣) غرر الحكم: ٩٧٦٩.

فقد يكون صاحبها عالما ، ولكن اذا تجاوز دائرة تخصصه العلمي انقلب الى حالة من البلادة والتعطيل الفكري الكامل. لايفكر من هو؟ والى اين؟ ومن اين؟ ، وماهو المبدء؟ وماهي الغاية؟ وكيف يتحرك؟ وكيف يحقق ذاته؟ وكيف يتكامل؟ وهل هو يراوح في مكانه ام يتقدم ام يتراجع؟ ....الخ

كثيرون اولئك الذين تلهيهم معيشتهم عن التفكير، وتستهلكهم حياتهم الرتيبة الدارجة وتشغلهم وتحبسهم في دائرة مغلقة . انَّ رسالة القرآن هي إخراج الناس من هذه الدائرة المغلقة ، وهي دائرة الحياة اليومية الرتيبة في السوق والتجارة والسياسة والأعلام او الدراسة الى رحاب الفكر الواسع.

وليس ذلك بمعنى تعطيل السوق، والتجارة، والسياسة، والعلم، وانما بمعنى تحرير الأنسان من سلطان السوق والتجارة والسياسة، والمركب الذي ينقل الانسان من هذه الدائرة المغلقة الى رحاب الحياة الطيبة الاسعة هو الفكر، والقرآن يثير الأنسان للتفكر ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾الاعراف/ ١٧٦ .

ان الغاية من الكثير من القصص ان يثير الأنسان للتفكير ويقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾النحل/ ٤٤ .

إنَّ لله تعالى آيات ناطقات واضحات في الكون للذين يتفكرون . وهي في نفس الوقت صامتات للذين لايتفكرون . ان الذين يتفكرون هم الذين يستطيعون أن يقرءوا آيات الله ويفهموها، دون سائر الناس ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾يونس / ٢٤ .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾الرعد / ٣ .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل/ ١١ .

ان هذا الكون حالةَ عديمة النطق، عديمة المعنى، عديمة الدلالة، للذين لايتفكرون ، وهو آيات، ناطقات، واضحات، بدلالات واضحة للذين يتفكرون ... وبالفكر فقط يستطيع الأنسان ان يستنطق آيات الله تعالى في هذا الكون الفسيح، وبالتفكر تنتعش القلوب، وترق، وتحيى ، كما تموت القلوب وتفقد شفافيتها بتعطيل الفكر.

عن الأمام الحسن عليه السلام : (التفكر حياة قلب البصير)(١).

وعنه عليه السلام ايضا : (عليكم بالتفكر فأنه حياة قلب البصير ومفتاح ابوب ا الحكمة)(٢).

---

(١) ميزان الحكمة: ص٣٤٦٥ ح ١٧٠٣٠.

(٢) اعلام الدين: ٢٩٧.

والنص دقيق الفكر مفتاح أبواب الحكمة، فأذا وظّفه الأنسان توظيفا صحيحا إستخرج منه كنوز الحكمة، ومن الاسباب المفضلة لترقيق القلوب وإحيائها مذاكرة العلم .

عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله عز وجل يقول : «تذاكر العلم بين عبادي مما تحيى عليه القلوب الميته . إذاهم انتهوا فيه الى امري »[1].

ومما يحيي القلوب الميته وينعشها ذكر الله تعالى عن امير المؤمنين عليه السلام في وصية لأبنه الحسن المجتبى عليه السلام : (اوصيك بتقوى الله ، أي بني ، ولزوم أمره ، وعمارة قلبك بذكره)[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: تعرض لرقة القلب بكثرة الذكر في الخلوات[3].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: أن الله تعالى جعل الذكر جلاءاً للقلوب، تسمع به بعد الوقرة[4].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: أصل صلاح القلب بإشتغاله بذكر

---

(١) الكافي: ١٤١/١.

(٢) نهج البلاغة الكلمات:٣١

(٣) تحف العقول:٢٨٥.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٢

الله[1].

هـذه طائفـة مـن العوامـل النافعـة لترقيـق القلـوب واحيائهـا وانعاشها . نسأل الله تعالى ان ينفعنا بها ويحيي بها قلوبنا الميتة.

---

(١) غرر الحكم للآمدي: ٣٠٨٣

الفهرس